جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية

الهبات الربانية في القرآن الكريم
دراسة حجاجية

رسالة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الاسلامية جامعة كربلاء وهي جـزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في لغة القرآن وآدابها

كتبت من قبل الطالبة
زينب جاسم فرحان جاسم
بإشراف
أ . د مسلم مالك بعيّر الاسدي

1445هـ 2023م

بِسمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

((أَلَم تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَاجَّ إِبرَٰهِـمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَن ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلمُلكَ إِذ قَالَ إِبرَٰهِـمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبرَٰهِـمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأتِي بِٱلشَّمسِ مِنَ ٱلمَشرِقِ فَأتِ بِهَا مِنَ ٱلمَغرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهدِي ٱلقَومَ ٱلظَّٰلِمِينَ))

صدق الله العلي العظيم

البقرة (٢٥٨).

ترشيح الرسالة للطبع

نظرًا لإنجاز فصول ومباحث الرسالة الموسومة بـ (**الهبات الربانية في القرآن الكريم دراسة حجاجية**) لطالبة الماجستير(**زينب جاسم فرحان جاسم**) فأني أُرشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف : أ.د. سلم مالك الاسدي

مكان العمل: جامعة كربلاء - كلية العلوم الاسلامية

التاريخ: 2023/9/12

إقرار المشرف

أشهد أن الرسالة الموسومة بـ (**الهبات الربانية في القرآن الكريم دراسة حجاجية**) التي قدمتها الطالبة (**زينب جاسم فرحان جاسم**) قد تم إعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في لغة القرآن وآدابها .

التوقيع:

المرتبة العلمية : استاذ

الإسم: ا.د. سلم مالك [illegible]

مكان العمل: جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: 2023/9/25

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع :

الاسم: ا.م.د. [illegible]

التاريخ: ٢٠٢٣/١٠/٢٨

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (**الهيات الربانية في القرآن الكريم دراسة حجاجية**) وناقشنا الطالب/ة**(زينب جاسم فرحان جاسم)** في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير(امتياز) لنيل درجة الماجستير في لغة القرآن وآدابها.

التوقيع:

الاسم : أ.د. مكي محي عيدان الكلابي

المنصب في اللجنة: رئيساً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.د . أمجد حميد عبدالله

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.د. رائدة مهدي جابر

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.د. مسلم مالك الأسدي

المنصب في اللجنة: عضواً ومشرفاً

التاريخ:

صدقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

التوقيع:

الاسم: **أ.د محمد حسين عبود الطائي**

العميد

التاريخ: ٢٤/١٢/٢٠٢٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإهداء

إلى الذي يأمل أن يراني في أسمى وأعلى المراتب ، إلى من تعب من اجلي حتى أصل إلى هذا المستوى ، إلى منبع فخري واعتزازي ، حفظك الله أبي .....

إلى من نطق اسمها القلب قبل اللسان . إلى من تعطي دون أن تبخل ، إلى من تتألم دون أن تتكلم ، حفظكِ الله امي .....

إلى إخواني وأخواتي جميعا ....

إلى زوجي ومنبع سعادتي وسندي حفظه الله ....

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتمَّ الصالحات من الأعمال . الحمد لله واهب الحياة له وحده ، فالملك والملكوت كلها تخضع لربوبيته ، وتخشع لعظمته والإقرار بوحدانيته ، وتطمع أن تنال من فيض رحمته .

فالحمد لله المعين الأول على إتمام هذه الدراسة راجين منه العون دائماً وأبداً . لنأتي بشكر كل من كان له الفضل باتمام هذا البحث نتقدم بكل آيات الشكر والعرفان إلى عمادة كلية العلوم الإسلامية المتمثلة بعميدها ومعاونيه الأفاضل ، وأساتيذي في قسم اللغة العربية جميعا . ولا يفوتني أن أذكر زملائي الذين ساندوني وساعدوني طوال مدة دراستي وكتابة بحثي ولم يتوانوا عن تقديم ما احتجت له فقد كان لهم أثر بليغ في دراستي ، والشكر موصول إلى كل من قدم المساعدة و إلى كل من سعى بإتمام هذه الدراسة سواء كان علمياً أم إدارياً ... الحمدلله رب العالمين على ما أنعم .

الخلاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ؛ والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأكرم الاصفياء والمرسلين وعلى أله الطيبين الطاهرين ومن اهتدى بهديهم الي يوم الدين .

أما بعد :

القرآن الكريم كتاب الله العزيز كان وما يزال محملاً بالعطايا على مختلف أنواعها ومكللاً بالهبات الربانية , من هبات كونية وحياتية حباها الله تعالى ومد بها الإنسان والمخلوقات البسيطة جميعا حتى يحدث الانتفاع منها , فجعل البسيطة بجبالها وانهارها ووديانها ومخلوقاتها في خدمة من جعله كامل الخلق , في خدمة الإنسان , فضلا عن الصفات الكمالية التي جعلها في هذا المخلوق فجعله كاملاً مكملاً ومنحه العقل والمنطق وحسن الخلق والخليقة كما جعله اجتماعياً وانزل على من شاء الكتب وجعلهم رسلاً فيهم .

من هذا المنطلق انطلقت الباحثة في محاولة دراسة الآيات الخاصة بالهبات الربانية التي منحها للإنسان والتي احتوت على مدلولات حجاجية بمختلف أنواعها وكل ذلك بالدراسة الموسومة (الهبات الربانية في القرآن الكريم دراسة حجاجية)

أما فصول الدراسة فقد ضمت تمهيدا ، بعنوان (الهبات الربانية والحجاج رؤية تأصيلية) وأما الفصل الاول فكان بعنوان (الحجاج الايقاعي في آيات الهبات الربانية في القرآن الكريم) في حين ذهب الفصل الثاني إلى دراسة (الحجاج اللغوي في آيات الهبات الربانية في القرآن الكريم) ، أما الثالث فكان (الحجاج البياني في آيات الهبات الربانية في القرآن الكريم) ، ثم خاتمة بينت فيها الباحثة أهم النتائج ويمكن تلخيصها في:

١-الهبة هي العطايا المقدمة إلى الآخر دون أن يكون لها مقابل ســـواء أكان ذلك المقابل مادياً أم معنوياً .

٢- أن كل ما منحه الرب لعباده هبات ربانية أي كان نوعها ســـواء أكانت المال ، الولد ، الصـحة ، القوة ، تسـخير المخلوقات وغيرها الكثير فهباته لاتعد ولا تحصـى فهي سـرمدية دائمة ، واسـاسـها هو تفضـيل هذا المخلوق على ما سـواه ومنحه العطايا التي تجعله جديرا بحمل الأمانة ، التي امتحن بها .

٣-يتمتع الخطاب القرآني بأســـلوب لغوي فريد، ومن يقرأ القرآن يجد من دون شـــك هذا الإيقاع الحجاجي، والتناغم والإحساس بالمتعة والجمال الذي لا نجده في كلام البشر والذي يبهر السامع ويأسره بل يدفعه للاقتناع والإذعان فآيات الهبات الربانية حلقت فيها العناصر الصـوتية نحو آفاق حجاجية ماتعة أسـهمت في بيان الوجهة المطلوبة منها وسـبب توجيهها بهذا الشكل الأمثل . ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

قائمة المحتويات	
المقدمة	٤_٢
التمهيد: الهبات الربانية والحجاج رؤية تأصيلية	١٥_٦
المطلب الأول: الهبات لغة واصطلاحا	٨_٦
المطلب الثاني: الهبات في القرآن الكريم	٩_٨
المطلب الثالث: الحجاج لغة واصطلاحا	١٥_٩
الفصل الأول: الحجاج الايقاعي في آيات الهبات الربانية	
توطئة	١٨_١٧
المبحث الأول: الفاصلة القرآنية الحجاجية	٢٤ _١٨
المبحث الثاني: التكرار القرآني الحجاجي	٣٢_٢٥
المبحث الثالث: الجناس القرآني الحجاجي	٣٨_٣٣
المبحث الرابع: المقابلة القرآنية الحجاجية	٤٦_٣٩
المبحث الخامس: التوازي القرآني الحجاجي	٥٨_٤٦
الفصل الثاني: الحجاج اللغوي في آيات الهبات الربانية	
توطئة	٦٢ _٦٠
المبحث الأول: العوامل الحجاجية	٧٤_٦٢
المبحث الثاني: الروابط الحجاجية	٨٤_٧٥
المبحث الثالث: السلالم الحجاجية	٩٥_٨٥
الفصل الثالث: الحجاج البياني في آيات الهبات الربانية	
توطئة	٩٨_٩٧
المبحث الأول: التشبيه الحجاجي	١٠٥_٩٩
المبحث الثاني: الاستعارة الحجاجية	١١٣_١٠٦
المبحث الثالث: المجاز الحجاجي	١٢١_١١٤

المبحث الرابع: الكناية الحجاجية	**١٢١_١٢٨**
الخاتمة	**١٣٠_١٣٣**
المصادر والمراجع	**١٣٥_١٤٦**
الخلاصة باللغة الانكليزية	**A_C**

المقدمة

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ؛ والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأكرم الاصفياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

أما بعد :

القرآن الكريم كتاب الله العزيز كان وما يزال محملاً بالعطايا على مختلف أنواعها ومكللاً بالهبات الربانية ؛ من هبات كونية وحياتية وعلمية حباها الله تعالى ومد بها الإنسان ومخلوقات البسيطة جميعا حتى يحدث الانتفاع منها ؛ فجعل البسيطة بجبالها وانهارها ووديانها ومخلوقاتها في خدمة من جعله كامل الخلق ؛ في خدمة الإنسان ؛ فضلا عن الصفات الكمالية التي جعلها في هذا المخلوق فجعله كاملاً مكملاً ومنحه العقل والمنطق وحسن الخلق والخليقة كما جعله اجتماعياً وانزل على من شاء الكتب وجعلهم رسلاً فيهم.

من هذا المنطلق انطلقت الباحثة في محاولة دراسة الآيات الخاصة بالهبات الربانية التي منحت للإنسان والتي احتوت على مدلولات حجاجية بمختلف أنواعها وكل ذلك بالدراسة الموسومة (الهبات الربانية في القرآن الكريم دراسة حجاجية) وهناك مجموعة من الأسباب دعت الباحثة إلى كتابة هذه الدراسة منها :

أولاً : رغبة الباحثة في دراسة جانب من جوانب القرآن الكريم لمعرفة بعض أسراره .

ثانياً : التعرف على الهبات الربانية التي وهبها الله لعباده .

ثالثاً : أهمية موضوع الحجاج بوصفه موظفاً في أنواع الخطاب جميعا.

وتبعاً لمقتضيات الموضوع فقد ضمت الدراسة تمهيدا وثلاثة فصول اشتمل التمهيد على ثلاثة مطالب :

الأول : تناولت الباحثة فيه مفهوم الهبات لغة واصطلاحاً ، ووروردا في القرآن الكريم وعلى ماذا دلّت من معانٍ .

الثاني : تطرقت الباحثة إلى الهبات الربانية في القرآن الكريم التي منحها الله لمخلوقاته .

الثالث : درست الباحثة فيه مفهوم الحجاج لغة واصطلاحاً .

أما فصول الدراسة ، فقد ضم الفصل الاول (الحجاج الايقاعي في آيات الهبات الربانية) ومنها (الفاصلة ، والتكرار ، والجناس ، والمقابلة والتوازي) .

وأتى الفصل الثاني بدراسة (الحجاج اللغوي في آيات الهبات الربانية) و قسم هذا الفصل على ثلاثة مباحث ، كان المبحث الاول يتحدث عن العوامل الحجاجية فقد اشتملت على بعض العوامل التي احتوت عليها الهبات الربانية في القرآن الكريم ، بيان وظيفة كل عامل حجاجي فيها ، ويليه مبحث الروابط الحجاجية الذي وضح أثر هذه الروابط في النصوص ، ثم ختمَّ بالسلالم الحجاجية التي اعتمدت على تدرج الحجج للوصول إلى أقواها .

أما الفصل الثالث فكان (الحجاج البياني في آيات الهبات الربانية) فقد اشتمل على آليات الحجاج المتوفرة في آيات الهبات الربانية من (التشبيه الحجاجي والاستعارة الحجاجية والمجاز الحجاجي والكناية الحجاجية) ثم خاتمة بينت الباحثة فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث وبعدها قائمة بالمصادر والمراجع وكان القرآن الكريم في مقدمتها وتلته كتب التفاسير التي سهلت تحليل النص القرآني ، وكتب أخرى مختصة بدلالة الحجاج .

وفي الختام بعد شكر الله سبحانه وتعالى ، اتقدم بالشكر الجزيل والامتنان لأستاذي المشرف الاستاذ الدكتور (مسلم مالك بعير الاسدي) لكل ما قدمه لي من نصح وتوجيهات وما بذله

من جهد في تقويم وتسديد خطاي ، مقدماً إلي درراً من بحر علمه ومعرفته ، فأسال الله أن يزيده علماً ورفعه فيكون مناراً لطلبة العلم .

وأخيرا لا أدّعي الكمال لهذا العمل فالكمال للهِ وحده ، ولكن حسبي ما بذلت من جهد أرجو أن ينال إعجاب كل من تقع هذه الرسالة تحت يديه , وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

التمهيد: الهبات الربانية والحجاج رؤية تأصيلية

إن القرآن الكريم كتاب الله تعالى ودستوره إلى خلقه، في الحكمة والموعظة وأخبار الأمم السابقة، وما أفاء الله به على خلقه، ولا سيما أنبيائه صلوات الله عليهم، فورد في ضمن آياته آيات تذكر فضل الله تعالى على رسله، وما آتاهم من فضله، ومن هنا تأتي هذه الآيات ضمن مُسمَّى (آيات الهبات الربانية) والتي تُعنى بها هذه الدراسة، ويجدر في هذا المقام التعريف بمفهوم الهبات في اللغة والاصطلاح، ومفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح لنستبين أهداف هذه الدراسة في الصفحات القادمة.

المطلب الأول : الهبات لغة:

قال ابن سيده في المُحكم: "وهب لك الشيء يهبه وهبًا ووهباً– بالتحريك – وهبة، والاسم والموهبة والمُوهب بكسر الهاء فيهما، ولا يقال: وهبكه، وهذا قول سيبويه، وقد حكى السيرافي عن أبي عمرو أنه سمع أعرابياً يقول لآخر: انطلق معي أهبك نيلا"[1].

ومن أسماء الله عز وجل: الوهاب. والهبة العطية الخالية من الأغراض والأعواض، فإذا كثرت سمي صاحبها وهابا، وهو من أبنية المبالغة والوهاب من صفات الله المنعم على عباده، والله تعالى الوهاب الواهب، وكل ما وُهِبَ لك من ولد وغيره فهو موهوب، وقيل في اللغة أصلها من الوهَب والوهْب بتسكين الهاء وتحريكها، وكذلك في كل معتل الفاء كالوعد والعدة والوعظ والعظة، فكانت من المصادر التي تُحذف أوائلها ويُعوّض في أواخرها التاء، وتعني : إيصال الشيء إلى الغير بما ينفعه سواء كان مالاً أو غير ذلك، يُقال : وهب له مالاً وهباً ، وهِبة. ويُقال وهب الله فلاناً ولداً صالحاً، ومن ذلك قوله تعالى: (وهب لي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثْنِي)[2].

(1) المُحكم :٢ / 242 .

(2) سورة مريم: 5 .

ويُقال : ((وهبه مالاً ، ولا يُقال : وهب منه، ويُسمى الموهوب هبة وموهبة، والجمع مواهب وهبات))[1].

والوَهوب " الرجل الكثير الهبات ووهبت له هبة، وموهبة، ووهبا؛ إذا أعطيته ووهب الله له ، فهو يهب هبة. ورجل واهب ووهاب ووهوب ووهابة أي كثير الهبة لأمواله، والهاء للمبالغة، والموهوب الولد صفة غالبة، وتواهب الناس وهب بعضهم لبعض، والاستيهاب: سؤال الهبة واتهب قَبِل الهبة واتَّهبتُ منك درهماً، افتعلت من الهبة، والاتهاب: قبول الهبة"[2].

والموهبة " الهبة بكسر الهاء وجمعها مواهب وواهبه فوهبه يهبه ويهبه: كان أكثر هبة منه والموهبة العطية ويقال للشيء إذا كان معداً عند الرجل مثل الطعام: هو موهب يفتح الهاء، وأصبح فلان موهباً بكسر الهاء، أي معداً قادراً، وأوهب لك الشيء: أعده، وأوهب لك الشيء: دام، قال أبو زيد وغيره أوهب الشيء؛ إذا دام، وأوهب الشيء؛ إذا كان معداً عند الرجل، فهو موهب. وأوهب لك الشيء: أمكنك أن تأخذه وتناله عن ابن الأعرابي وحده، قال: ولم يقولوا : أوهبته لك" [3].مما تقدم ذكره فالهبة هي العطايا المقدمة إلى الآخر دون أن يكون لها مقابل سواء أكان ذلك المقابل مادياً أم كان معنوياً .

الهِبات اصطلاحاً:

إن العلماء لهم في تعريف الهبة اصطلاحاً تعاريف كثيرة، وإن اختلفت في بعض ألفاظها، ولكنها متقاربة المعنى.فمن هذه التعاريف أنها "تمليك المال بلا عوض"[4].

(1) فتح القدير، 9 / 18 .

(2) الجامع لأحكام الوقف والهبات والوصايا: 30 .

(3) لسان العرب : 1/ 803

(4) الجامع لأحكام الوقف والهبات والوصايا، : 31.

المراد بقولهم بلا عوض في تعريف الهبة بلا اكتساب عوض، فالمعنى أن الهبة هي تمليك المال بشرط عدم اكتساب العوض فلا ينتقض بالهبة بشرط العوض، فإنها وإن كانت بشرط العوض إلا أنها ليست بشرط الاكتساب. ومن تعاريف الهبة في الاصطلاح أيضا أنها "أحد أنواع العطية وهي – أي: العطية – : تمليك متمول بغير عوض إنشاء، أي تمليك ذات، وأما تمليك المنفعة فإما وقف، وإما عارية إن قيد بزمن ولو عرفاً، وإما عُمرى إن قُيِّد بحياة المعطَى بالفتح في دار ونحوها"[1].

المطلب الثاني : الهبات الربانية في القرآن الكريم :

إنّ الهبات في القرآن الكريم تعني تلك الآيات التي يخاطب فيها الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما وهب وأعطى الكثير من خلقه، ولا سيما الأنبياء، وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الهبات بألفاظ كما في قول الله عز وجل {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }[2]، قال الزمخشري: "(الذين آتيناهم الكتاب) هم مؤمنو أهل الكتاب (يتلونه حق تلاوته) لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"[3], وكأن هِبة الله تبارك وتعالى لهم بأن آتاهم ومنحهم هذ الكتاب نتيجة ما كان منهم من التصديق بهذا الكتاب، وعدم تحريفه أو تغيير ما فيه من نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن هنا فقد وهبهم الله الكتاب وآتاهم إياه منة وفضلا وتكرمة منه (عز وجل). فالاثبات، خلق الانسان ، منحه الحياة والاولاد ، والصحة خلق المخلوقات لخدمته جميعها وتسخيرها لخدمته ومنحه الفكر والنطق وغيرها الكثير في حياته الدنيويه ، فضلاً عن خلوده في جنة عرضها كعرض السماوات والأرض أعدت للمتقين وما جعل فيها من المكارم التي لا تعدُ ولا تحصى في حياته الأخرى كلها هبات وعطايا منحت لآدم ومن جاء بعده من ذريته وبنيه

(1) الجامع لأحكام الوقف والهبات والوصايا، : 32.

(2) سورة البقرة: 121 .

(3) الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : 94 .

منحها الرب له تكريماً لهذا المخلوق الذي بث الرب فيه من روحه فقام سوياً . مما تقدم ذكره فإن ما منحه الرب لعباده هبات ربانية كان نوعها سواء أكانت المال ، الولد ، الصحة ، القوة ، تسخير المخلوقات وغيرها الكثير فهباته لاتعد ولا تحصى فهي سرمدية دائمة .

المطلب الثالث: الحجاج لغة:

إن الحجاج في اللغة مشتق من مادة حجج، وهي من قولهم "حاججته أحاجُّه حجاجاً ومحاجَّة من حجَجْتُه بالحجج التي أدليت والحجَّة البرهان، وقيل الحجّة ما دُوفع به الخصم. وقال الأزهري: الحجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وجمع الحجّة حجج وحِجاج. وحاجّه محاجَّه وحِجاجاً نازعة الحجّة. وحجَّة يحجُّه حجّاً غلبه على حجَّتِه، وفي الحديث "فحجَّ آدم موسى"؛ أي غلبه بالحجَّة واحتجَّ بالشيء اتَّخذه حجة، قال الأزهري: إنما سُميت حجة لأنها تُحجُّ، أي تُقصد، لأن القصد لها وإليها"[1].

وقد ورد في مقاييس اللغة لابن فارس أن معنى (حاججت فلانا) أي غلبته بالحجة، وبذلك الظفر يكون عند الخصوم والجمع حجج والمصدر حجاج، والحجة الدليل والبرهان"[2].

وعلى ذلك يكون الحِجاج مرادفاً للجدلِ، إذ حدَ الجدل حسب (ابن منظور) هو "مقابلة الحجة بالحجة" وفي الحجاج، وفي الدلالة على المعنى نفسه يقول "هو رجل محجاج أي جدل"[3]، ومن ذلك في القرآن الكريم قول الله (عز وجل) : (هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ)[4].

(1) لسان العرب : 2 / 779 .

(2) معجم مقاييس اللغة(مادة حجج) :٢ / 30 .

(3) لسان العرب : ٢/٧٨٠.

(4) سورة آل عمران: 66 .

وقد قال الجرجاني: "الحِجّة ما دُلَّ به على صحّة الدعوى، وقيل الحجّة والدليل واحد"[1] فأساس الحِجاج إنما هو الارتكاز على دليل معيّن بقصد إثبات قضية من القضايا، ومن ثمّ بناء موقف ما، وما يقابل هذه اللفظة في الفرنسية، لفظ "Argumentation" التي تدل أيضا على معاني متقاربة أبرزها القيام باستعمال الحجج. أو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.

الحِجاج اصطلاحا :

أما في الاصطلاح فإن مفهوم الحجاج يُعدُّ من المفاهيم التي دار حولها جدل كبير أدى إلى تعدد في المفاهيم بسبب ظروف النشأة المتباينة، كما حدث التباس في تلك المفاهيم في الثقافة العربية، تسبب فيه بعض الباحثين نتيجة تناولهم له جزئيا كاقتصارهم مثلا على تيار واحد دون باقي التيارات ولو بالإشارة المقتضبة_ فبدا كل تعريف من تعريفاتهم كأنه هو التعريف الجامع المانع.

ومن أشهر العلماء العرب وقوفا على دراسة الحجاج الفيلسوف اللغوي (طه عبد الرحمان) الذي عرفه : "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[2].

إلاّ أنّ ذلك التعريف اشتمل فقط على الجانب الشكلي من العملية الحجاجية وهو (التلفظ) بدون جانبها التداولي، وهو حصول الإقناع والتأثير، ولذلك نجده عند بلونتين – christian

(1) معجم التعريفات: 73 .

(2) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : 6 .

plantin – يعني "العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام التصورات والمعتقدات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"[1].

وبما أن أهم شيء تتأسّس عليه دلالة (الحِجاج) هو وجود اختلاف بين المرسل للرسالة اللغويّة وبين المتلقِّي لها، وكذلك محاولة الطرف الأوّل إقناع الطرف الثاني بوجهة نظره عن طريق تقديم الدليل والحجّة على ذلك؛ إذ إن الحِجاج هو انتهاج طريقة معيّنة في الاتِّصال، غايته استمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم، ومن ثمّ إقناعهم بمقصد معيّن.

وقد كان **(أفلاطون)** أحد أعلام الغرب الذين تكلموا عن الحجاج وقد انطلق في ممارسته للحجاج عن طريق الصراعات التي نشبتْ بينه وبين السفسطائيين ، ففي المحاورة التي أقامها مع فرجياس "بحث في موضوع الخطابة ووظيفتها" وهو بحث في شرعية قيام هذا القول، فهو قد فحص موضوع الخطابة في مقابلته بين الفعلين (علم – ظنَّ) وقد ذكر أن الإقناع عبارة عن نوعين، الأول هو إقناع يعتمد على العلم، وإقناع آخر يعتمد على الإقناع والظن، أما النوع الآخر في رأي أفلاطون فهو موضوع الخطابة عند السوفسطائيين؛ لأن العلم عنده يقوم على مبادئ ثابتة وصادقة، والإقناع من هذا الجانب مفيد يكتسب منه الإنسان معرفة، أما الظن فإنه يقوم عند **(أفلاطون)** على الممكن والمحتمل، ومن هنا فإنه لا يكتسب معرفة، وإنما يُنشئُ اعتقادا فحسب[2].

ومن هنا يتضح أن أفلاطون قد اعتمد على تقييم القول على منهج بحثي في علاقة القول بالقيم، وأن الحجاج عنده كان ينطلق من مبدأين أساسيين هما: الخير والعلم، على عكس الحجاج عند السوفسطائيين الذي يُعدُّ حجاجا مُخاتلًا ليس له أي أساس من الصحة.

---

(1) البنية الحجاجية في كتاب "اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق فيه الشيخان" : 14 .

(2) يُنظر: الحجاج عند أرسطو : 63.

يعد أرسطو كذلك أحد أهم من اهتموا بالحجاج، بل إنه المرجع الرئيس لكل من جاء بعده من الغربيين أو العرب، وقد تناول الحجاج من جانبين متقابلين، الأول هو الجانب البلاغي، والآخر هو الجانب الجدلي، ففي الجانب الأول يربط الحجاج بالإقناع، أما الجانب الجدلي فإنه يربطه بعملية التفكير التي تتمَّ عن طريق بنية حوارية تنطلق من المقدمات لتصل إلى النتائج التي ترتبط بها، وهذان الجانبان متكاملان في التحديد الذي يُقدمه أرسطو لمفهوم الخطاب انطلاقا من أنواع الحضور والرغبة في الإقناع، وهو يحدد للخطاب الحجاجي ثلاثة أنواع هي: الخطاب الاستشاري، والخطاب القضائي، والخطاب القِيَمِي[1].

وقد ميَّز **(أرسطو)** بين ثلاثة مستويات من الحجج، هي: الإيتوس، والباتوس، واللوغوس، فقد ميَّز هذه المستويات الثلاث في علاقاتها بالأفعال الخطابية: الخطيب، والمستمع (أو المتلقي)، والخطاب.[2]

وقد فصَّل **(أرسطو)** القول حول قضية المقول والقائل وأفعال بناء القول الحجاجي، ففرَّق بين الخطبة والمناقشة الجدلية ووجد بينهما اختلافا في إسهام المتلقي في العملية الحجاجية أو في بناء القول الحجاجي.

والمناقشة الجدلية عنده هي: "جنس حِجاجي يُنشئه طرفان اثنان، فهذا هو الشرط الرئيس من أجل مناقشة جديدة عند **(أرسطو)**، وهذان الطرفان يتقاسمان في بناء المناقشة لفعلين رئيسين هما: السؤال والجواب، وأرسطو يُسمي أحد الطرفين (السائل) بينما الطرف الآخر

(1) يُنظر: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية: 15.

(2) ينظر: م.ن: ١٨

يسميه (المُجيب) ويكونان متلازمين في فعلي السؤال والجواب على أن السائل هو الطرف الأهم في الجدل بحسب رأي أرسطو"[1].

أنّ الدراسات الغربية الحديثة عن الحِجاج قد لاقت قدرا كبيراً من العناية والاهتمام من كثير من الباحثين، إذ أنهم استحدثوا نظرات ورؤى جديدة للدراسات الحجاجية انطلاقا من الأسس الحجاجية عند أرسطو الرائد الأول لهذا الحقل، وقد كثُر الباحثون الغربيون الذين أولوا الحجاج اهتماما بالغا، ومن أبرزهم: **(ديكرو وأنسكومبر)**، في بحوثهما حول التداولية المُدمجة، وبيرلمان من خلال دراساته عن البلاغة الجديدة، و(ميشال مايير) في نظرية المسالة، و(تولمين) ومشروعه الحجاجي ، قد وضع(ديكرو) نظرية رئيسة في الحجاج، عُنيت بالوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم بصدد توجيه خطابه وجهة ما، وقد تحدث عن الحجاج عموما في مؤلف اشترك فيه مع (إنسكومر) بعنوان (الحجاج في اللغة) وقد أقر المؤلفان أن الحجاج متجذر في اللغة، أي أنه لا يُمكن عزل اللغة عن الحجاج، والعكس أيضا صحيح، فيقولان في ذلك: "إن الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولا (ق1) أو مجموعة من الأقوال ليُفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2) أو مجموعة من الأقوال"[2].

و(ق1) يمثل الحجة التي يجب أن تؤدي إلى (ق2) ويكون (ق2) قولا ضمنيا أو صريحا، وقد ضرب المؤلفان أمثلة على ذلك، منها: "إن قولنا: لنخرج إلى النُّزهة بما أن الطقس جميل، أو في قولنا: الطقس جميل فلنخرج إلى النزهة، يكون (ق1) هو (الطقس جميل) و (ق2) (فلنخرج إلى النزهة)"[3].

وقد ركز (ديكرو) وزميله على نموذج خاص بهمها اسهم بشكل كبير في بلورة العملية الحجاجية للخطاب، وقد اعتمد المؤلفان على مجموعة من النماذج والمنطلقات الرئيسة التي

(1) الخطابة: ١٧.

(2) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،: 33.

(3) ينظر م.ن: 34.

تتمثل في أن الوظيفة الرئيسة للغة هي الحجاج، وأن المكون الحجاجي في المعنى أساسٍ والمكون الإخباري ثانوي، وأنه لا يُمكن الفصل بين التداوليات والدلالات[1].

وقد بيَّن **(ديكرو)** في نظريته أن ظواهر الحجاج اللغوية تدعو إلى دراسة الحجاج على مستويين هما: مستوى خارجي؛ حيث إن النص يُشكِّلُ في كليته حُجَّة، ومستوى داخلي؛ يُمثل الحجاج في الروابط الحجاجية والمعجم والأفعال اللغوية[2]، ومن هنا يتضح أن هدف ديكرو ليس إخبار المتلقي أو تقديم المعلومات، وإنما هدفه هو السعي للتأثير في المُخاطَب ودفعه من أجل اتخاذ موقف معين من القضية التي هي موضوع النص؛ لأن الإقناع والتأثير يجب أن يتمَّ فهمه من المنظور الذي يعتمد على اللغة كعامل أساسٍ في العملية الحجاجية.

فضلاً عن ذلك فقد قدَّم **(بيرلمان)** دراسة بعنوان (مُصنَّف في الحجاج) يُنزِلُ الحِجاجَ فيها بين الخطيب والجمهور أو المُخاطَبين، أي وجود تفاعل بين الخطيب وجمهوره، ويتضح من قراءة هذا الكتاب أنه يتصل اتصالًا وثيقا بكتاب "الخطابة" لأرسطو طاليس، بل إنه يعتمد عليه إلى حد كبير، وقد اعتمد بيرلمان في تعريفه للحجاج على صناعة الجدل من جانب، كما اعتمد على صناعة الخطابة من جانب آخر، وهو يُعرف الحجاج بقوله: "موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد من درجة ذلك التسليم"[3].

ويُمكن التعليق على ذلك بأن الخطاب الحجاجي ليس هو نقل الكلام أو النص إلى المتلقي بهدف الإيصال المجرد، أو الإخبار، إنما هو محاولةُ المخاطبِ أن يؤثر في المتلقي بما في نفسه، وهو من ذلك المنطلق يعْمَدُ إلى الوسائل والآليات الحجاجية للخطاب لكي يستعملها في خطابه حتى يتمَّ له التأثر في مخَاطبيه وإقناعهم بما يُريد، بعد أن يكون قد ألزمهم الحجة.

(1) ينظر:خلية البحث التربوي (مليكة غبار – أحمد أمزيل – محمد رويض – علي أعمور) الحجاج في درس الفلسفة، : 53.
(2) ينظر م.ن: 53.
(3) نظرية الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم : 299.

ويقول الدكتور **(جميل عبد المجيد)** – تعليقا على هذا التعريف – في كتابه (البلاغة والاتصال) : "يسعى كل واحد منهما إلى نشر ما لديه من فكرة أو معتقد، أو بضاعة في سياق من الحرية، لا باستخدام حد السيف، فلم يعد أمام هذه التيارات إلا استخدام حدّ الخطاب، خطاب الاستمالة والتأثير، وقد شاع هذا الخطاب وازدهر إلى الحد الذي يسمح – كما يقول بيرلمان – بأن نُطلق على القرن العشرين قرن التتويج والدعاية"[1].

إن غاية الحجاج عند **(بيرلمان)** كما حددها: "دراسة التقنيات الخطابية التي تهدف إلى إثارة الأذهان وإدماجها في الأطروحة المقدمة، كما تفحص أيضا شروط انطلاق الحجاج أو نموه وما ينتج عنهما من آثار"[2]، وقد قسَّم الحِجاج بحسب الجمهور إلى قسمين: الحجاج الإقناعي، وهو ما يرمي إلى إقناع الجمهور خاصة، والحجاج الاقتناعي، والذي يهدف إلى أن يُسَلِّمَ به كلُّ ذي عقل وهو من النوع الذي ركز عليه لأنه عقلي، ويُعدُّ أساس الإذعان، والحجاج يحدث بين الاستدلال والإقناع[3]. وممّا تقدّم ذكره في ما يخص مفهوم الحِجاج وما رادفه من مُفردات عديدة ، استعمال أساليب اللغة المختلفة بواقعها الحقيقي والمجازي لتحقيق الاقناع والقبول بالأفكار التي يحاول الباث تصديرها للمتلقي متوشيّة كلها في ثنايا الرسالة التي تكونت لديه على وفق مؤثرات مسَّبقة .

(1) البلاغة والاتصال: 115.

(2) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية : 44.

(3) ينظر: الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم : 301.

الفصل الأول

الحجاج الايقاعي في آيات الهبات الربانية في القرآن الكريم

المبحث الاول: الفاصلة القرآنية

المبحث الثاني: التكرار

المبحث الثالث : الجناس

المبحث الرابع : المقابلة

المبحث الخامس : التوازي

لاشكَّ أن العصرَ الراهن أصبح يشهَدُ سيلاً جارفاً من الرؤى المتباينة الأفكار وطوفانا وسيلاً من الدعاوى المتضادة التي تُحاصرنا حيثما اتَّجهنا، وعن طريق ذلك فإن كل جماعة أو طائفة أو فريق – على تنوع المجالات واختلاف الأصعدة – يحاولون استمالة أكبر عدد ممكن من المريدين والمتعاطفين والأتباع من أجل التمكين للمعتقدات التي يؤمنُون بها ، وكذلك لدحض المذاهب التي تُعارضُ أفكارَهم ، ومن هنا يأتي البحث في الخطاب الحجاجي وتقنياته ووسائله، والتسلُّح بما يُمكن أن تنتجه هذه التقنيات من خبرات ونظريات ومهارات عديدة، ومن هذا المبدأ يُمكننا القول إن وصف هذا العصر بأنه عصر الحجاج يُعدُّ وصفا دقيقا يؤيده الواقع الراهن الذي تُشير فيه طرق وأساليب التواصل إلى كل هذه الأبعاد.

والحِجاج ليس وليد هذا العصر؛ لأنّه ممتد إلى الماضي البعيد امتدادَ اللغة نفسها وامتداد الخطاب اللغوي، فلم يَخلُ عصر من العصور من وجود اختلافات مذهبية وصراعات أيديولوجية، وتناقضات سياسية كانت تطفو على السطح نتيجة، وقد كان الحجاج الإيقاعي إحد أشكال الحجاج وأكثرها تأثيرا؛ ولا سيما أن هذا التأثير يتأتَّى بوساطة التنوع الصوتي والانسجام في الكلمات.

ولعل السر في الإعجاز الربّاني في القرآني الكريم هو هذا التأثير الذي يدخل في ثنايا القلب؛ فيزيد السامع انبهاراً وتعلقاً لترتيب حروفه بوصفها من مخارجها وأصواتها ، ومناسبةِ بعض ذلك لبعضه مناسبةً طبيعية في الجهر والهمس ، والرخاوة والشدة والتفخيم والترقيق؛ والتفشي والتكرير [1].

(1) يُنظر، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : 215 .

والإيقاع "انسجام الصورة مع الصوت الذي يُحدث في النفس اهتزازات وشعورا بالمتعة، هذا الانسجام تحدثه العلاقة المتعدية بين الصوت والصورة، فالجذب من قبل النظر للصورة يقابله الوقْع في السمع من قبل الكلمة، ونقطة التقاطع بينهما هي إحداث الأثر في النفس والإحساس بحركة الجمال التي يحدثها الإيقاع، فتحدث المتعة التي تمزج بين الصورة والسمع ويصيران كُلاً واحدا"[1].

وقد تمتع الخطاب القرآني بأسلوب لغوي فريد، ومن يقرأ القرآن يجد من دون شك هذا الإيقاع الحجاجي، والتناغم والإحساس بالمتعة والجمال الذي لا نجده في كلام البشر والذي يبهر السامع ويأسره ، بل يدفعه للاقتناع والإذعان بكل ما جاء به.

وستعمل الباحثة على دراسة أهم العناصر الإيقاعية الواردة في آيات الهبات الربانية والتي توشحت بسمات جمالية صوتية أخاذة آسرة وهي كما يلي :-

المبحث الأول : الفاصلة الحجاجية :

عرفت الفاصلة تعريفات كثيرة منها ما هو "مأخوذ من الفعل (فصل) وجمعها فواصل، وهي مؤنث الفاصل، وتعني الخرزة تفصل بين الخرزتين في العقد"[2]. والفصل هو "الحاجز بين الشيئين فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل، وفصلت الشيء فانفصل أي قطعته..... ، والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، والفصل: القضاء بين الحق والباطل"[3]. وقد عرفها الرماني بأنها: " حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني"[4].

(1) البنية الايقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر: 94 .

(2) المنجد في اللغة والأعلام، مادة (فصل) : 585.

(3) لسان العرب : 188 – 189 .

(4) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: 97 .

أو هي " الكلام المنفصل عما بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، تقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، سميت بذلك لأن الكلام ينفصل عنده"[1]. وقال فضل عباس: "يقصد بالفاصلة القرآنية ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية"[2]. مما تقدم من التعريفات السابقة نلاحظ أن الفاصلة القرآنية هي الحروف أو الكلمة أو الجملة التي ختمت بها آخر الآية القرآنية وفيها ملخَّص للآية، وربَط الرُّمَّاني حدَّ الفواصل بتمام المعنى، فقال: "الفواصل حروف متشاكلة توجب حُسن إفهام المعاني"[3]، وقد نخرج من ذلك بأن الفاصلة هي ما خُتِمت به الآيات القرآنية من حروف أو كلمات، أو جُمَل تُلخِّص معاني النصوص، وقد نقلت الفواصل القرآنية معانيَ الآيات، كما أبلغتْ دلالاها بشكل مُعجِز؛ اذ صوَّر القرآن بوساطتها انفعالات النَّفْس البشرية.

وذكرها الدكتور محمد عبد الله دراز تحت مسمى تناسب الأجناس في آيات القرآن الكريم، فقد وقف في معرض حديثه عن القواعد في دراسة التناسب المعنوي وتحدث: "عن الجمع بين الأجناس المختلفة والوقوف على نهج القرآن الذي يعمد إلى الأضداد يجاور بينها أو يجاور بين شيئين في الوضع والمكان دعامة لاقترانهما في النظم"[4].

والمَواطن الرئيسة التي أتت فيها الفاصلة القرآنية حافلةً بالانفعالات حسَب المواقف؛ وإننا نشعر بلمسات الرحمة الندية ودَبيبها اللطيف في العبارات والكلمات والظلال، كما نشعر انتفاضات الكون لوقْع كلمة الشِّرك التي لا تُطيقها فطرة الإنسان ؛ لأن الفاصلة القرآنية تتماهى بشكل مُعجِز

(1) مباحث في علوم القرآن : 136 .

(2) إعجاز القرآن الكريم : ٢٢٥.

(3) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: 97 .

(4) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن : ١٤٥

مع معاني آيات العقيدة وغيرها[1]. فأتت مولدة للمعنى محققة للصبغة الحجاجيه المتطلبة في القرآن الكريم ؛ لتحقيق الاقناع ، وجذب القلوب والاسماع .

ومن امثلة الفاصلة القرآنية الحجاجية في آيات الهبات الربانية قوله تعالى : **(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ , قلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)**[2]. فالهبة الربانية هنا هي إعادة الاحياء ، والاستعداد للنشور والحساب والجزاء بما اقترفت يدا العبد ، وكل ذلك أيضاً أسهمت بتحقيقه إذ كلمة (رَمِيمٌ) و(عليم) فاصلتين في هاتين الآيتين و قد اتفقتا في الإيقاع الصوتي ، فصوت الميم هو من الأصوات الشفوية المجهورة ، وأن الإيقاع العام للنص القرآني ينتابه الهدوء ؛ بسبب الفاصلة التي تعطي الدعم الصوتي الذي يعد وسيلة قوية لإقناع السامع، وعملت على الاستقرار السمعي لديه ، وساعدت على سرعة إدراك الأخبار، ونلاحظ في هذا الخطاب القرآني "قِصَر الفواصل مع سرعة الإيقاع يطبع النص بطابع خاص فتتلاحق إيقاعاتها ، وتدق على الحس دقات متوالية ، يعمل على مضاعفة أثر ما تحمله معها من الصور والظلال التي تخلعها المشاهدة والمتابعة للنص القرآني ، وهي موحية ومتنوعة وعميقة الآثار"[3] ، فعملت هذه الفاصلة على شد انتباه المتلقي لإقناعه بقضية البعث والنشور من جديد إذ تكون مصحوبة بمؤثرات مناسبة ومتناسقة مع إيقاعها وصورها ومن هذه المشاهدات أو المؤثرات الكونية مشهد النطفة ثم مشهد الإنسان وهو خصيم مبين فليتأمل الإنسان إلى هذه العجائب ؛ ليترقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة الَتي مِنهَا صدَرت هَذه الْاعَاجِيب فلَا

(1) يُنظر: التصوير الفني في القرآن الكريم : 109 .

(2) سورة يس: 78-79.

(3) الجرس والإيقاع في القرآن الكريم , العدد /98: 13.

يَزَال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانِع[1]. الذي جمع ثم كون ثم أطلق الروح ثم هدى وكل ذلك تحقق من (رميم) وعدم ولكنه كان به عليما .

ومن المواضع التي وردت فيها الفاصلة في آيات الهبات الربانية أيضاً قوله تعالى: **(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا , فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا , قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا , قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا , قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا , قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا)** [2]. فهو حوار يدور بين الروح الأمين ومريم العذراء – عليها السلام – بعدما أخبرها بأنه سيكون لها غلام وهي فتاة عذراء قدسية لم يعرف عنها غير الطهر والعفة , كيف تلد ولداً من دون أن يمسسها بشر؟ إذ قالت لها الملائكة أنّ الله يبشرك بكلمة منه فقالت ربِّ أنَّى يكون لي ولد، من أيّ وجه يكون لي ولد أمِن قبل زوج أتزوجه أو بعل ومن غير أن يمسَّني بشر؟ فقال الله لها : كذلك الله يخلق ما يشاء، هكذا يخلق الله منك ولدًا لك من غير أن يمسَّك بشر، فيجعله آيةً للناس وعبرة، فإنه يخلق ما يشاء ويصنعُ ما يريد، فيعطي الولد، وهذا الغلام سيكون آية للناس ورحمة من الله ، وهذا الأمر لصعوبته على مريم وعلى الناس جميعاً لكونه خارقاً للعادة ، هو هين على الله تعالى ، هو الذي يقول للشيء كن فيكون فكيف يصعب عليه ذلك ، هذه المحاورة نقلت لنا مقدار الفزع والخوف والخجل الذي مرت به مريم عليها السلام[3]، والحالة التي كانت تعيشها السيدة العذراء قد وضحتها فواصلها (شرقيا. سويا . تقيا . زكيا . بغيا . مقضيا) فقد انتهت بالياء المضعفة المتبوعة بصوت الفتحة الطويلة ، هذا قد أوجد نسقا متناغماً من الأصوات في أثناء المحاورة التي جرت بينهما

(1) ينظر: إحياء علوم الدين :١/ 282.

(2) سورة مريم : 16-21.

(3) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٨٢/١.

منفصوت الياء هو من ضمن الأصوات الصامتة، وهو صوت مجهور، وهو من أصوات العلة أو الحركات ؛ ولذلك يعد علماء الأصوات "الياء" صوتا شبيها بالحركة ؛ لأن وضع مقدمة اللسان مع "الياء" أقرب إلى سقف الحنك، من وضعها مع الكسرة[1], فضلاً عن أنّ مد الصوت بالياء ولد شعوراً بما كانت تعانيه السيدة مريم من هواجس ومحن فكل ما دار في خلدها كان مقروناً بالخوف من كلام المخلوق ؛ فجاءتها هبة الرب بأن الأمر مقضي ولا جدال فيه ، ولا خوف عليها ؛ لانها ستكون مؤيدة بآيتين ، عيسى (عليه السلام) وكلامه في المهد ، واللتان أسهمتا في قابل الايام بتحقيق الحجاج ومن ثم الاقناع .

ومن آيات الهبات الربانية ما جاء في قوله عز وجل : **(وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)**[2] فإن الله تعالى هو الذي مدّ الأرض وفرشها مبسوطة وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ جبالا شامخات لتكون أوتادا لها وَاجرى عنها وعن طريقها ووهادها أَنْهاراً منشئة منها جارية على وجه الأرض لا نبات ما تقتاتون وتفكهون به عليها (وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ) قد جَعَلَ فِيها زَوجَينِ اثنَين ليكون سببا لدوامها وبقائها ولإنضاجها وإصلاحها ، (يُغشِي اللَّيْلَ النَّهارَ) أي يلبس الليل بالنهار؛ لتسكين البرودة والنهار بالليل لتسكين ؛ الحرارة ليحصل الاعتدال في طبيعة الهواء المنضج وفي الجملة : إن فِي ذلِك الحكم والتدابير العجيبة لَآياتٍ دلائل واضحات ؛ وشواهد لائحات لقوم يتفكرون ويتأملون في حكم الصانع الحكيم المدبر العليم، وَأيضاً من بدائع قدرته وغرائب حكمته إنه قد حصل وظهر فِي الأرض حسب تدبيره البديع قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ متماثلات في الطبيعة والمزاج ، وَحدثت أيضا

(1) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: 92.

(2) سورة الرعد: 3-4.

فيها جَنَّاتٌ وبساتين مملوءة مِنْ أَعنابٍ في بعض أطرافها وَفي بعضها زَرْع وَفي بعض الآخر نَخِيل مختلفة أنواعها بعضها صِنْوانٌ ؛ أي نخلات متكثرة وأصلها فكل هذه النعم هي هبات من الله تعالى أنعم بها على الإنسان[1] ؛ فجاءت الفاصلتان بصوت النون و هو من الأصوات اللثوية ، وعند النطق به يحدث ذبذبة في الوترين الصوتين ويولد صفة الجهر[2]، فالفاصلتان في (يَتَفَكَّرُونَ) و(يَعْقِلُونَ) ، قد أنتجتا إيقاعاً صوتياً جعل نهايات النص مترابطة ؛ وقد أدى هذا الترابط إلى معرفة المعنى المطلوب في الآية ، وهو التفكر والتعقل في بينات الله والإيمان بقدرته وأن جو الآية هو اللين و الهدوء ففي الفاصلة القرآنية الأولى (يَتَفَكَّرُونَ) دعوة إلى التفكر بقدرة الله المبدعة ، ولكثرة مشاهد الظواهر الكونية الحسية في هذه الآية ؛ نراها خُتمت بما يدعو إلى التفكر وهو أمر يتناسب مع الحالة الحسية ، أما في الفاصلة الأخرى (يَعْقِلُونَ) قد عملت على ما يثير العقول وينبه الأفهام وختمت بما يناسب ذلك ، وأن هذا النص القرآني يتحدث عن ظاهرة إبداعية حتى يعقب بعد ذلك بعرض الظواهر الكونية التي تكون مرتبطة بالفكرة الرئيسة التي يحوم حولها النص القرآني؛ وهي تشكيك الناس بالحق الذي أنزله الله تعالى وقد استعمل في هذا النص أدوات فنية في صياغته ، ووظف عناصر لفظية وإيقاعية وصورية متنوعة في هذا الصعيد، لكي يوضح للشاك و يقنعه بما طرح ، والوصول إلى المعنى المراد تقوم الفاصلة القرآنية بدور الإحكام، فالفاصلة تربط بالمعنى الكلي الذي يسبقها في الآية ذلك إضافة إلى ترنيمها الموسيقى الواضح، فهذا الإحكام يتّسم بوظيفتين في الشكل والمضمون[3].

ومن الفواصل المنفردة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى**(وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى, مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى , وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى , وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ**

(1) ينظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية : ١/ 389.

(2) الأصوات اللغوية : 37.

(3) ينظر: جماليات المفردة القرآنية : 309.

فَتَرْضَى , أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى , وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى , وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى)[1]. قد يظل التعبير عن إيقاع الفاصلة في القرآن أمراً يقوم على إمتاع الأذن في هذه الأنماط الصوتية والنغمية المتناسقة ، فإن فواصل سورة الضحى هي من الفواصل التي لم تتماثل حروف رويها ولم تتقارب على اختلاف الفاصلة في صورة الأعلى كقوله عز وجل : **(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى , الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى , وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى , وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى , فَجَعَلَهُ غُثَاء أَحْوَى , سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى)** [2]. فلو تأملنا للفواصل لوجدنا (الأعلى , سوى , هدى, مرعى , أحوى , تنسى) جميع هذه الفواصل منتهية بحرف الألف الممدود ؛ وهذا ما يجعل تنغيم في اللفظ الذي يقوم على شد القارئ ويمتع السامع ؛ والفاصلة في سورة الأعلى هي من الفواصل المتماثلة بخلاف سورة الضحى . أسهمت الفواصل القرآنية في آيات الهبات الربانية في إشاعة جو من النغم والجمال ثم الدلالة التي افرزها تكرار الصوت نفسه في ختام الآية المباركة فجذب الأسماع والانظار والقلوب إلى المراد وبحث المتلقي عنه في مضامين الجمل القرآنية التي جذبت قلبه وامالته إلى التصديق بمعجزة الرب وكتابه الذي أنزله على قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(1) سورة الضحى: 1-8 .

(2) سورة الأعلى : 1- 6.

المبحث الثاني: التكرار الحجاجي:

إن التكرار أصله من الكرّ بمعنى الرجوع، وهو يأتي بمعنى العطف والإعادة ، ف"كرر الشيء وكركره أي: أعاده مرة بعد أخرى. وقد يأتي له تصريف آخر هو التكرير، و الكر: الرجوع، يقال: كررت الشيء تكريرًا وتكرارا"[1].

أما في الاصطلاح فيُعرف التكرار على أنه "إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد ولمعنى واحد"[2]. وقد اهتمت الدراسات الأسلوبية الحديث بظاهرة التكرار؛ لما تتسم به من تعقيد وثراء واضح، إذ يكون في التكرار تنازع بين القوانين التي تحكم اللغة، وهذه التي تسوس الأدب على أشده، وفي التكرار تلتبس الحدود بين مجالي التوظيف والاستعمال.

فضلا عن ذلك فإن في التكرار أيضا نجد الفوارق أحيانا، بينما يكون المتكلم مقترفا لخطأ ولا يكون فيه ملتزما بقاعدة لغوية، وما ارتكبه على وجه الاختيار والعمد على قواعد اللغة من أجل تحقيق جمالية تأثيرية[3] .

وقد قال العلماء بوقوع التكرار في القرآن الكريم، ورأوا فيه أسلوبًا من أساليب العرب التي جاء بها القرآن ؛ ليحقق بوساطتها أهدافًا معينة تثري المعنى؛ لأنّ التكرار عندهم ظاهرة بلاغية لا يفطن إليها إلا كل من له بصر بفنون القول، وهو في القرآن أجمل وأروع.

ومن هؤلاء العلماء ابن قتيبة، واستدل على ذلك بأن وفود العرب كانت ترد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ فيقرئهم شيئًا من القرآن، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة،

(1) لسان العرب، مادة (كرر) 13 / 46 .

(2) القصص القرآني : 19 .

(3) ينظر: التكرار وفعل الكتابة الإلهية : 8 – 9 .

فبين أنّه لو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم، وقصة موسى إلى قومه وقصة عيسى إلى قومه؛ فأراد الله تبارك وتعالى أن يشهر هذا القصص في أطراف الأرض، وقد كان هذا في صدر الإسلام الأول. ولما انتشر الإسلام في آفاق الأرض، اجتمعت القصص في كل مصر، وعند كل قوم. وقد كان الهدف من التكرار عند ابن قتيبة هو تجديد الموعظة، وتنبيه الغافلين[1]، وذلك من أوجه الحِجاج في القرآن.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ التكرار تنهض به بنية النص الحجاجي على وسائل تزوده بأدوات مهمة في الإقناع والاستمالة[2]، وبما أن التكرار وسيلة واستراتيجية للإقناع توجب دفع الشبهات التي أحاطت بالتكرار ، والتي تحتاج قراءة واسعة له فإن التكرار لم يكن فعلاً للتكثير أو حشوا تلقائيا بهدف الإكثار في النص والايقاعات والأصوات والتراكيب أو الانساق المختلفة ، ولكنه تجاوز كل ذلك إلى القوة الدلالية والتأثير والاقناع لما يختزن من طاقات تعبيرية ومعان تحقق الجذب والاحتلال التأثيري القوي.

وقد كثر أسلوب التكرار في القرآن الكريم ومنها ما ورد في آيات الهبات الربانية كما في قوله تعالى :**(وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا , قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا , وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا , عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا)**[3] فقوله عزَّ وجل(كانَتْ قَوارِيرَا) أي كأنها كصفاء القوارير، وبياض الفضة، فاجتمع فيها صفاء القوارير، وبياض الفضة وقوله عزَّ وجل (قَدَّرُوها) قدروا الكأس عَلَى رأي أحدهم لا فضل فيه ولا عجز عن رأيه، وهو ألذ الشراب وقوله (كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلًا) إنَّما تسمى الكأس إِذَا كَانَ فيها الشراب،

(1) ينظر: تأويل مشكل القرآن : 180 .

(2) ينظر: النص والخطاب والاتصال : ٢٢٩.

(3) سورة الإنسان: 15-18.

فإذا لم يكن فيها الشراب لم يقع عليها اسم الكأس وَتَقْدِيرًا إنّها ليست الملأى التي تفيض ولا ناقصة القدر , فقد أخبر تعالى أن كل ما في الجنة من سررها وفرشها وأكوابها مخالف لما في الدنيا من صنعة العباد، وإنما دلّنا الله بما أراناه من هذا الحاضر على ما عنده من الغائب. فأعلمنا أن هناك أكوابا لها بياض الفضّة وصفاء القوارير، وهذا على التشبيه، أراد قوارير كأنها من فضة، كما تقول: أتانا بشراب من نور، أي كأنه نور[1]. فلو تأملنا النص لوجدنا التكرار واضحاً في نهاية الآية الأولى وبداية الآية الثانية وهو التأكيد اللفظي، ويسمّى تأكيدا صريحا أيضا، وهو تكرير اللفظ الأول أو اللفظ المكرّر. والتكرير أعمّ من أن يكون بلفظه حقيقة نحو كانَتْ قَوارِيرَا، قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ .

وقد تجلى التكرار في آيات عديدة منها آيات الهبات الربانية التي تجعل المتلقي يستشف دلالات جديدة قال تعالى **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ , خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ , اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ , الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ , عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)**[2] فقد يأتي التكرار للتأكيد ؛ فقوله عز وجل :(الذي خلق , خلق الإنسان) فتكرار كلمة (خلق) لتأكيد قدرة الله تعالى على الخلق وكذلك قوله (علم بالقلم , علم الإنسان) فهذا التكرار له أغراض كثيره جميعها تدل على تأكيد عظمة الله تعالى وقدرته على فعل الأشياء فوصف نفسه، تبارك وتعالى، بأنه علّم بالقلم، كما وصف نفسه بالكرم، واعتدّ بذلك في نعمه العظام، وفي أياديه الجسام. ثمّ جعل هذا الأمر قرآنا، ثمّ جعله في أوّل التنزيل ومستفتح الكتاب[3]. فأول ما أنزل من القرآن الكريم ذكر التفضيل على عباده بخلقه لهم، وهذه هبة من الله تعالى وما ندبهم له بذلك، من البقاء الدائم والنعيم المتصل، لمن آمن به ووحده وصدق بنبيه صلى الله عليه وسلم. ثم أتبع ذلك بذكر الأنعام عليهم بما علمهم من الكتاب الذي

(1) ينظر: معانى القرآن : ٥٦١/٢

(2) سورة العلق: 1-5.

(3) ينظر: الحيوان : ١/ ٣٦٤.

به قوام أمر دينهم ودنياهم، ولولا أن من لا يحسن الكتابة يجد ممن يحسنها معونة وإبانة عنه، لما استقام له أمر، ومعنى قوله الذي علم بالقلم: الذي علم الكتابة بالقلم[1]. ويعد التكرار طريقا من طرق التعبير، وله قيمته الفنية والبلاغية.

ونجد أن التكرار ورد في القرآن في صور عديدة سواء على مستوى اللفظ أم على مستوى المعنى ؛ إذ جاء فيه على الصورة التي تتساوق فيها الفكرة مع الفن التعبيري على أدق وجه وأكمل صورة كما جاء في قوله تعالى :**(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)**[2] . فتكرار كلمة(اصطفاك) يعني فضلك على نساء العالمين واقْنُتِي لِرَبِّكِ يعني أطيعي و أطيلي القيام في الصلاة؛ فتكرار بعض الكلمات عدة مرات، وربما بعض الجُمَل؛ لتأكيد معناها، أو لتدل على معان أُخَرى، وَعُدُّ ذلك من البلاغة؛ إذ اسْتُعْمِل في سياقه اللائق به، فإن كل كلمة من كلام القرآن مقدَّسة وفي موضعها ولا يحلّ مكانها بديل مرادف لها يدل على جميع معانيها [3] .وتكرر فعل (اصطفاك) ؛ لأن الاصطفاء الاول ذاتي وهو جعلها منزّهه زكية ، والثاني بمعنى التفضيل على الغير ، فلذلك لم يعد الأول إلى متعلق ، وعدي الثاني ونساء العالمين نساء زمانها [4] .ويذهب ابن حيان إلى أن تكرار الاصطفاء كان على سبيل التوكيد والمبالغة ... فلما أطلق الاصطفاء الاول بين بالثاني أنها مصطفاة على النساء دون الرجال[5] .

ومما تقدّم ذكره من آراء تفسيرية في هذا التكرار تلاحظ الاصطفاء بمختلف أنواعه لا يخرج عن الهبات السرمدية التي منحت لمريم والعطايا التي أولاها وقدرها لها نظير ما قدمت لذات الرب

(1) ينظر : أدب الكتاب : 21.

(2) سورة آل عمران: 42.

(3) ينظر : الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل: ٥٥٧

(4) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٢٤٤/٣.

(5) ينظر:تفسير البحر المحيط : ٤٧٦/٢.

من سبل العبادة والطاعة وخدمته وخدمة زوار بيته المقدس فكان الاصطفاء والتقديم لما ملكته من ذات ونفس ذائبة في ملكوت الله وعشقه وما حققته من مآثر في سبيل خدمته جل وعلا .

ومن التكرار؛ ما جاء في قوله تعالى **(وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ , وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ , أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُون)**[1] وأصحاب المشأمة هم أصحاب الشمال بأن يؤتى كل منهم كتابه بشماله، في مقابل أصحاب الميمنة، ما أصحاب المشأمة ما أصحاب الميمنة تعظيماً لشأنهم وما أصحاب المشأمة تحقيراً لشأنهم، وأولئك تعظيم شأنهم بدخولهم الجنة، وهؤلاء تحقير شأنهم بدخولهم النار؛ فالترتيب أحيانا يكون على سبيل التدلي، وأحيانا يكون على سبيل الترقي، سبيل التدلي من الأسفل إلى الأعلى، من الأعلى إلى الأسفل ، والترقي من الأسفل إلى الأعلى، والذي عندنا بالنسبة للفظ الكلام المجمل، ما في ترتيب ؛ لأنه ذكر أصحاب الميمنة ، ثم أصحاب المشأمة ثم ذكر السابقين فلو كان على سبيل الترقي لذكر أصحاب المشأمة، ثم أصحاب الميمنة، ثم السابقين، ولو كان على سبيل التدلي لذكر السابقين، ثم أصحاب الميمنة، ثم أصحاب المشأمة، فهناك لف ونشر، اللف حصل في أول ؛ الكلام فقوله أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، والسابقون[2]. فقد ورد التكرار في قوله تعالى(اصحاب المشأمة) وفي قوله (السابقون) فدلالة التكرار الذي يجيء نغماً جديداً من أنغام الحسن كما عد عنصراً من عناصر تكوين الإيقاع في النص الديني ؛ فضلاً عن دلالاته المعنوية التي تضفي على النص جرساً ونغماً يؤدي إلى تقوية المعنى وإيضاحه على أن التكرار يأتي لدلالات عدة منها التثبيت، والتنبيه، والتأكيد فهذه الظاهرة الأسلوبية أضفت عليها قيماً تعبيرية ودلالية ساعدت على ترديد العبارة ؛ فقوله تعالى (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ , وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) ؛ فقد يدل هذا التكرار على التعجب من حال الفريقين ، وهناك نوعاً آخر هو

(1) سورة الواقعة: 9-11.

(2) ينظر:التعليق على تفسير الجلالين : ١٧/٢٤ .

تكرار الحرف ؛ كما في قوله تعالى**(وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ)** [1]إذ كررت الهمزة للدلالة على إنكار البعث مطلقاً ؛ ولاسيما في هذا الوقت كما دخلت العاطف في قوله (أو آباؤنا الأولون) للدلالة على أن ذلك أشد إنكارا في حقهم لتقدم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون[2] . وكذلك قوله تعالى(هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ , فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)[3] فكرَّرَ قوله (الإحسان) عناية بالأمر وأراد الإبلاغ في التنبيه فذكر الاستفهام بمعنى التوبيخ والسؤال لهم .

ومن قوله تعالى **(لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)**[4] اختلف الناس في المعنى الذي رفع الله فيه (الحرج) فظاهر الآية وأمر الشريعة أن الحرج عنهم مرفوع في كل ما يضطرهم إليه العذر وتقتضي نيتهم الإتيان فيه بالأكمل، ويقتضي العذر أن يقع منهم الأنقص، فالحرج مرفوع عنهم في هذا. فمنهم من قال هو الحرج في الغزو أي لا حرج عليهم في تأخرهم، وبعضهم قال إن العرب ومن بالمدينة قبل المبعث تتجنب الأكل مع أهل الأعذار فبعضهم كان يفعل ذلك تقذرا لجولان اليد من الْأَعْمى ولانبساط الجلسة من الْأَعْرَجِ ولرائحة المريض وعلاته وهي أخلاق جاهلية وكبر، فنزلت الآية مؤيدة، وبعضهم كان يفعل ذلك

(1) سورة الواقعة: 47.

(2) ينظر:الفصول في الأصول : ١٣٥/٢.

(3) سورة الرحمن: 60-61.

(4) سورة النور: 61.

تحرجاً من غبن أهل الأعذار إذ هم مقصرون في الأكل عن درجة الأصحاء لعدم الرؤية في الْأَعْمى وللعجز عن المزاحمة في الْأَعْرَجِ ولضعف المريض ؛ فنزلت الآية في إباحة الأكل معهم[1]. ففي هذه الآية جاء التكرار في نسق موسيقي الذي يكون على شكل منبهات أسلوبية بما فيها التكرار الحجاجي الذي له دور فعّال في توضيح الصورة للمتلقي وأن القرآن الكريم استعمل في حواراته هذه المنبهات التي رسمت لنا هذه الصورة الممتعة للمتلقي. ومن قوله تعالى (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا , إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا , وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ)[2] فالتأثيم لا يُسمع، وإنما يُسمع اللغو، كما قيل أكلت خبزا ولبنا، واللبن لا يُؤكل، فجازت إذ كان معه شيء يؤكل. وقوله (إِلا قِيلا سَلامًا سَلامًا) أي لا يسمعون فيها من القول إلا قيلا سلاما فالتكرير في قوله (سلاماً سلاماً) وقوله(مَآ أَصْحَابُ الميمنة) للتَّفخيم والتعجُّب، كقوله (الحاقة مَا الحاقة) ، و (القارعة مَا القارعة) وغيرها[3]. ومن التكرار ماجاء في قوله تعالى **(وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا , وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)**[4]

فقوله (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) فهو تكرار جاء للتأكيد ؛ أي بالحق أنزلنا هذا القرآن نأمر فيه بالعدل والإنصاف والأخلاق الجميلة، والأمور المستحسنة الحميدة، وننهى فيه عن الظلم والأمور القبيحة، والأخلاق الردية، والأفعال الذّميمة (وَبِالْحَقِّ نزلَ) وبذلك نزل من عند الله على

(1) ينظر:المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ١٩٥/٤ .

(2) سورة الواقعة : 25-26.

(3) ينظر:اللباب في علوم الكتاب : ٣٧٧/١٨ .

(4) سورة الأسراء : 105-106.

نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم فنزلناه شيئا بعد شيء، آية بعد آية، وقصة بعد قصة[1]. ولا بد للتكرار من فوائد التأكيد وأن التكرير أبلغ من التأكيد؛ لأنه وقع في تكرار التأسيس وهو أبلغ من التأكيد. ومن فوائده زيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ويأتي التكرار أيضاً في مقام التعظيم والتهويل كقوله تعالى(الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ) و(الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ) وكذلك يأتي التكرار في مقام الوعيد والتهديد ؛ كقوله تعالى(كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ و ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) [2]. وغيرها وفي الختام أرى أن التكرار في القرآن الكريم له دور دلالي مهم و لكن لا يمكن الوصول إليه و استكناه المعاني المتخفية من ورائه إلا عن طريق تذوق جماليته الأسلوبية و الاستمتاع بفك شيفرته المتخفية خلف نسيجه الفني. كما أنّ وجوده في السورة الواحدة يضفي جمالا في المبنى و في المعنى، و في الإيقاع الذي تنتجه الأصوات المتألفة في ألفاظها والمتناغمة في معانيها . وأهم نتيجة توصلت إليها هي أن التكرار الحجاجي في القرآن الكريم يحتاج إلى جهد واسع من أجل تقصي حقائقه وتدبر معانيه. فهو ليس مما يسميه النقاد بالاطناب أو التوسع بل أنه اطناب بالمعاني التي تخرج فيها الكلمات إلى مشارف دلالات لانهائية تجعل المتلقي باحثاً عن معنى ثم آخر ثم آخر حتى يصل إلى مبتغاه . فيجتمع الجمال والمعنى والحجاج في القول نفسه ؛ فيحقق المراد وهو عبادة الرب بأفضل سبيل وأثر .

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٧/ 573.

(2) ينظر: موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام :,١٢٤/٤.

المبحث الثالث : الجناس القرآني الحجاجي :

وهو في اللغةِ "الجنس والضرب من كل شيء ..... والجنس أعم النوع ومنه المجانسة والتجنيس ويقال هذا تجانس اي يشاكله"[1] ، "ومعناه أتحد معه في الجنس" [2] .

وفي الاصطلاح : هو مجيء "حروف ألفاظه من جنس واحد ومادة واحدة ، ولا يشترط تماثل جميع الحروف بل يكفي في التماثل ما تقرب به المجانسة" [3] .

وهو فنٌ بديع في اختيار الألفاظ التي تُوهمُ في البدء التكرير، لكنها تفاجئ التأسيس واختلاف المعنى ويعرفه بعضهم على أنه" التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها"[4].

إذن فالجناس هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى؛ وهذان اللفظان المتشابهان نطقا المختلفان في المعنى يسميان (ركني الجناس)، ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما نعرف به المجانسة. ويقال له: التجنيس أيضا، مصدر جانس الشيء أي يشاكله واتحد معه في الجنس[5]. فإن المحاسن اللفظية وجدت في فصيح كلام العرب وفي القرآن العزيز قبل أن تسمى بأسمائها في علم البيان أو البديع ، فالعلم يستقري الموجود ويصنفه ويضع لأصنافه ، وما أظن العلماء اماطوا بكل الموجود من أصناف تلك المحاسن . وموضع اللطف ، فالجناس التام إذا لم يفسده التكلف أنه يلفت الذهن إلى معنيين مختلفين بلفظ واحد يذكر بمعنى ويتكرر بمعنى . فهو من حيث المعنى كلمتان مختلفتان ، ومن حيث النطق كلمة واحدة . وليس

(1) لسان العرب : ماده (جنس) .

(2) علوم البلاغة : ٤١٤.

(3) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر : ٣٣٠.

(4) البديع : 151 .

(5) يُنظر: أنوار الربيع في أنواع البديع : 97 .

لما اشترطت بعضهم في الجناس التام من ألا يكون أحد المعنيين مجازياً محل ولا حكمة مادام وضع الحسن هو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى ؛ فاللفتة الذهنية هي سواء أكان المعنيان حقيقيين كلاهما ، أم كان أحدهما حقيقياً والآخر مجازياً[1] .

والجناس كأسلوب حجاجي في القرآن الكريم بين ومكين إلى حد كبير؛ ولا سيما في آيات الهبات الربانية التي احتوت على معنى مختلف في نسق الآية الكريمة , ومن أمثلة الجناس ما جاء في قوله تعالى **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ, يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ)** [2]، والجناس التام في لفظتي ((بالأَبْصَارِ)) و ((الأَبْصَار)) إذ أنهما مختلفتان في المعنى، إذ فالأولى بمعنى العيون التي ترى ، وهي جمع بصيرة ، أمّا الثانية فهي للعقول أو القلوب أو للتفكير، و هي جمع بَصُر؛ لذلك استعملت الأولى للتعبير عن رؤية السحب المجتمعة، و ما ينتج عنها من أمطار ، وصواعق ، تستحق المشاهدة و التأمل فيها والانبهار من قدرة الله سبحانه وتعالى ، وتقلب الليل يناسبه الإبصار بالفكر ، و هاتان اللفظتان متفقتان في الإيقاع ، إلا إنهما مختلفتان في المعنى ضمن إطار في السياق ؛ وذلك لإتمام المعنى المراد و فضلاً عن الجمال الموسيقي النابع من تردد نغمة الأبصار مرتين[3]. والسنا شدة الشيء يسنو سنا ، إذا أضاء ، أي : يُكاد ضوء برق السحاب المتراكم والمرجي والمؤلف يخطف الأبصار من شدة إضاءته وزيادة لمعانه وسرعة توهّجه ، وبعد أن ساقُ سبحانه هذا الدليل العلوي على وحدانية وقدرته ، اتبعه بدليل زمني يحسه الناس ويشاهدوه في حياتهم ؛ فقال (يقلب الليل في النهار) أَي يعاقب بينها

(1) ينظر : انوار الربيع في انواع البديع : ٩٩

(2) سورة النور : 43.

(3) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة : ١٨٨/٢.

فساتين بهذا .... وفي ذلك التقليب والارجاء والتأليف وغير ذلك من مظاهر قدرته التي تبصر قدرة الله تعالى وتعتبر بها فتخلص له العبادة والطاعة[1].

ومن أمثلة الجناس أيضاً في قوله تعالى **(قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)**[2]. فنلاحظ الموسيقى اللفظية الناشئة من تجانس كلمتي "أسلمت وسليمان " مع جلاء المعنى وحاجته إلى ذلك الجناس ، وهذا هو المقياس لصحة استعماله, فإن بلقيس ملكة سبأ بهرها ما رأت وعلمت من معجزات صادقة قد أيد الله تعالى بها نبيه سليمان عليه السلام، فوقفت الملكة متفاجئة مندهشة أمام هذه العجائب التي تعجز البشر ، وتدل على إنّ سليمان مسخر له قوى أكبر من طاقة البشر ، فما كان منها إلاّ أن تطيع رب سليمان وسليمان وتكفر بالشمس والأجرام السماوية التي كانت تعبدها مع قومها ، تخلت عن دينها وهذا هو أول درجات الإيمان . فرجعت إلى الله سبحانه وتعالى وناجته معترفة بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادة غيره . معلنة إسلامها مع سليمان لا لسليمان ولكنّ لله ربُّ العالمين أسلمت بالدين الذي جاء به سليمان ، فهي مؤمنة بكل ما جاء به سليمان من شرائع وأحكام ولقد أهتدى قلبها وأستنار . فعرفت إن الإسلام لله ليس استسلاما لأحد من خلقه ، ولو كان هو سليمان النبي الملك صاحب هذه المعجزات .إنّما الإسلام إسلام رب العالمين . ومصاحبة للمؤمنين به والداعين إلى طريقه على سنة المساوة[3] . فضلاً عن أنها لبت الدعوة ولبت طلبه في أن يأتوه مسلمين ، وبعد أن وجدت ما لديه من الهبات العظيمة التي لا يمكن أن تكون لبشر فهي مما يهبه الرب اي أنها متحصلة عن طريق قوة عظيمة تقل للشيء كن فيكون.

(1) ينظر : تفسير الوسيط : ١٠/١٤٣.

(2) سورة النمل : 44.

(3) ينظر: البحر المحيط في التفسير:٢/ 307.

وإذا عدنا إلى الأمثلة المألوفة وجدنا مثالا آخر في أول سورة الرحمن في قوله تعالى **(والسماء رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ , أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ , وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ)**[1]. وعلى هذا ذهب عدد من المفسرين في الموطن الأول ففسروا (ووضع الميزان) وهذا يجعل الآيات الكريمة من الأمثلة الفريدة لتمام الجناس حتى لو اتخذ معنى الميزان في الموطنين الآخرين لكن الأقرب الأصوب أن يختلف معناه في الآيات الثلاث، فيكون في الآية الأولى بمعنى الشرع الذي توزن به الأعمال والأحكام في الجماعات فمن قوله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)[2] إذ من الواضح أن الميزان هنا لا يمكن أن يكون الآلة المعروفة بدليل (أنزلنا)، ودليل العطف على الكتاب، ودليل الإطلاق في قيام الناس بالقسط ؛ هذا في الآية الأولى. أما في آية الرحمن الثانية فيكون الميزان على هذا مصدراً ميمياً بمعنى الوزن أي التقدير والحكم. وفي القاموس من بين معاني الميزان أنه المقدار، ومن بين معاني المقدار أنه القدر بمعنى القضاء والحكم. ويكون بمعنى الآية الكريمة على هذا (ألا تطغوا في القضاء والحكم) أما الميزان في الآية الثالثة فبالمعنى المعروف؛ والنهي عن إخسار الميزان نهي عن الطغيان فيه؛ لأن التعامل بالميزان عملية ذات طرفين إذا جونب القسط فيها كان ذلك طغيانا أو إخساراً حسب الطرف المنظور إليه[3] .

ومن الجناس ما ورد في قوله عز وعلا: **(ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ**

(1) سورة الرحمن: 7-8.

(2) سورة الحديد: 25.

(3) ينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٦/٦

فَاسِقُونَ)[1]. فالجناس هنا جناس اشتقاقي في لفظتي (راعوها) و (رعايتها) وقد اشتقه من الفعلِ رعى ؛ وذلك لعدم تطابق اللفظتين في النطق، وقد زاده جمالاً وحلاوةً وأكساه بهاء ورونقا ، وقد كانت كل هذه الخصائص اللفظية بعد أن طابق الكلام الذي يحمل الجناس لمقتضى الحال؛ لأن هذه الرهبانية والروحية التي وهبها الله تبارك وتعالى لهم لم يُراعوها حق رعايتها، أو أنهم بالغوا فيها وانحرفوا عن مقصد الله تعالى من هذه الرهبانية التي ابتدعوا فيها فبالغوا وألَّهوا المسيح؛ وقد قال السعدي في تفسيره: "(فما رعوها حق رعايتها) أي: ما قاموا بها ولا أدوا حقوقها، فقصروا من وجهين: من جهة ابتداعهم، ومن جهةٍ عدم قيامهم بما فرضوه على أنفسهم"[2]. فالنعم تدوم إذا ما وجدت من له القدرة على رعايتها بوساطة الحمد والشكر لواهب النعم وهو تبارك وتعالى أمّا لو خالف العبد ذلك وتبطّر وكفر وعاش في الارض واستكبر فإنها إلى زوال واضمحلال .

ومن قوله تعالى **(إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)**[3] نزلت في خمسة : النبي عليه الصلاة والسلام، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام , هم أهل البيت طهرهم الله من كل سوء، واختصهم برحمته فإنَّ الجناس في الشاهد القرآني المذكور وقع في قوله (يطهركم تطهيرا) وهو جناس اشتقاقي إذ تشترك اللفظتان في أصل الاشتقاق، وجاء الجناس في صيغتين نحويتين متغايرتين (فعل – يطهركم) و (اسم – تطهيرا) متماثلتين في الحروف وعددها، مع تغيير بسيط فيها باستبدال بعض الحروف، نجم عنه تغيير في الصيغة

(1) سورة الحديد، آية: 27 .

(2) تفسير السعدي، ص: 994 .

(3) سورة الأحزاب : 33.

اللغوية، رافقه عملية توليد، ومضاعفة للمعنى المراد وهو الطهارة[1] . فدلالة الحدث والتجدد مع الفعل اجتمعت مع دلالة الثبات والديمومة مع الاسم لبيان أن هؤلاء (المصطفون) المخلصين ، من كل دنس وشائبة قد طهروا منذ أن وضعت بذرة النور ، وقبلها أرواحهم إلى أن ارتحلوا إلى الرحمن بل طهروا تطهيراً دائماً لا ينقطع وأسهم الجناس الاشتقاقي في بيانه وإظهار مقداره وعظيم تجليه .

فقد أسهم الجناس بأنواعه المختلفة في إضفاء ملامح الجمال الموسيقي المتشحة يتوسع الدلالة التي تبين عن طريقها نفحات الحجاج ومواطن الاستدلال اللغوية والموسيقية التي تحققه فالجناس التام وما يولده تكرار الحروف في الكلمة نفسها ويخرج من بوتقة التكرار؛ ليعطي معاني أُخر أراد الباحث أن تصل إلى متلقيه برسالة ، أما الجناس الناقص فهو لعبة ولكنّها مقصودة تخلق التموج غير المتوقع في الخيال وفي بحر اللغة لتخرج الدرر والجواهر بوساطة الانقاص من بعض أصوات الكلمات ، ما يرد من كلمات من الأصل نفسه ولكنها تتوشح بتغير دلالات الأحداث وواقعيتها ومعانيها .

(1) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: 325.

المبحث الرابع: المقابلة الحجاجية :

إنّ المقابلة من الأساليب البديعية الجميلة التي تضفي على النصوص سمة رائعة ، وتعرف بأنها : " إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة والمخالفة " [1] ، ولقد عُنيّ البلاغيون بفنِ المقابلةِ عناية كبيرة ، وكان كل منهم ينظر إليه من زاوية مغايرة بما يراها الآخر ؛ مما أدى إلى تعدد تسمياته فعرف ب" " مجاورة الأضداد ، والطباق, المطابقة ، التكافؤ ، والمطابقة ، والتضاد من معاني الألفاظ ، والتطبيق والبديع والمقابلة والتضاد " [2]

وهذا التعريف يجعلها مع الطباق شيئا واحدا فهي (أي الطباق والمقابلة) يشتركان في التضاد، وذلك مع الاختلاف في عدد العناصر المتضادة فقط، وقد يؤكد هذا المعنى أن الاثنين – الطباق والمقابلة – يَستعمل معها مصطلح التقابل بين المعنيين،"الطباق هو الجمع في العبارة الواحدة بين معنيين متقابلين، والتقابل بين المعاني له وجوه"[3]

وكثيرٌ من الدراسات والبحوث الحديثة استوعبت كثيرا من أشكال المقابلة وحجِّيتها في الأسلوب الإيقاعي، وفهمت حقيقته ووجوده داخل النصوص، وأهميته في التعبير، كما عرفت أيضا أن دور المقابلة دورٌ جوهري، وأنها أحد أهم مقومات التعبير؛ فضلا عن أنها من أسس بناء النص.

ومن هنا فإنه لا يمكن عدّها حشوًا أو زيادة بديعية قاصرة فقط على الشكل، وذلك أن المقابلة تنعكس على شبكة علاقات لغوية في النص فيُحيلها إلى مجموعة ثنائيات خالصة[4].

(1) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر : ٣٤٦

(2) الطباق في القران الكريم (دراسة بلاغية) : ٢

(3) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: 2/ 377 – 378.

(4) يُنظر: بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي : 149.

وهو ينطلق عن طريق ذلك من نظرة اللسانيات إلى اللغة التي تُعد نظاما من الاختلافات، يقول طه عبد الرحمن: "إن أساليب البيان – مثل المقابلة والطباق وغيرها – ليست مجرد صياغة للتحسين والبديع، ولكنها من أهم أساليب للتبليغ"[1].

ومن المقابلة في القرآن الكريم، وفي آيات الهبات الربانية ؛ ما جاء في قوله تعالى **(وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ , إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ , قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ , قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ , قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ , قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ)** [2]. يذكر الله (عز وجل) في كتابه الكريم المحاورة التي جرت بين ضيوف أبراهيم الخليل –عليهم السلام– من الملائكة ، فكان بداية دخولهم عليه أنهم القوا عليه السلام ، وقد جاءوا إليه وهم على هيأة بشر ، إلاَّ إن النبي (عليه السلام) كان خائفاً منهم . وعلى اختلاف أسباب الخوف إلاَّ إن النتيجة أنه كان وجلا قلقا منهم ، وما كان من الملائكة إلاَّ إن يبشروه بإمر الله سبحانه وتعالى وبشارته ، كما قال تعالى(نبشرك بغلام عليم) والعلم هو الذي يدعو صاحبه إلى كل خلق رفيع؛ ليعلم أنه اجتمع فيه جميع الخصال الرفيعة، ونفى عنه كل خلق دنيء. وما كان من النبي ابراهيم (عليه السلام) إلاَّ إن يتعجب ويستنكر البشارة وهو بعمر كبير، فقال أبشرتموني أن يولد لي، وأنا على الحال التي أنا عليها، أو يرد إليَّ شبابي وشباب امرأتي. (فَبِمَ تُبَشِّرُونَ) على الحال التي أنا عليها وامرأتي، أو يرد الشباب إلينا، وإلا لا يحتمل أن يخفى عليه قدرة الله هبة الولد في حال الكبر، لكنه لم ير الولد يولد في تلك الحال[3]، فاستخبرهم أنه يولد في تلك الحال، أو يرد إلى حالة أخرى حالة الشباب فهذا الشيء مخالف للعادة، عادة البشر في الانجاب فهو كبير بالعمر وأمراته عاقر ، إلاَّ إن

(1) مراتب الحجاج وقياس التمثيل: 18.

(2)سورة الحجر: 51 – 56.

(3)ينظر: تفسير الماتريدي: ٦/ 448.

الملائكة يردون عليه بأن لا يأس من رحمة الله ، فهو القادر على أن يخلق بشراً من غير أبوين فكيف بجعل الرجل العجوز والمرأة العاقر يلدان ، ولا تكن من الذين يخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى ، وكمال علمه ،. وقدرته فهو القادر على أن يقول للشيء كن فيكون فإن الجاهلون بالله الذين لا يعرفون سعة رحمة الله وقدرته[1]؛ فبين خوفه منهم وبشارتهم بالذرية الصالحة والخير مقابلة أسهمت في بيان هبات الرب التي ترد في الوقت الذي يراه مناسباً لعبادة مهما كانت ظروفهم ، فهي عطايا لاترد , وخيرات لا تحصى.

ومن آيات المقابلة أيضاً ما ورد في قوله تعالى**(أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ)**[2] فالمقابلة هنا جاءت بين (الكفر) و(الأيمان) فإن الكافر أصابه العجب كيف يبعث الله رسولاً منهم والعجب حَالَة تعتري الْإِنسَان من رُؤيَة شَيْء على خلاف الْعَادة. فقوله (أَكَانَ للنَّاس عجبا) وَمَعْنَاهُ أعجب النَّاس، يعْنى: الْمُشْركين وهو استفهام ومعناه التقرير والتوبيخ (أَن أَوْحَينَا إِلَى رجل مِنْهُم) وَالرجل هُنَا النَّبِي، وَقَوله: {مِنْهُم} ومَعْنَاهُ إِنَّه رجل يعرفونه باسمه وَنسبه، لَا يكْتب، ولا يكذب. فبعثه الله إليهم لينذر النَّاس والْإِنذَار هُوَ الْإِعْلَام مَعَ التخويف[3]. فإن أكثر التأويلات تشير إلى أنهم يتعجبون من إرسال النبي الأكرم محمد عليه السلام ؛ لأنه كان رجلا منهم فيه صدق اللسان والتنزه لينذرهم من عذاب الله، وخوفهم نقم الله، وذكرهم بآيات الله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا) إيماناً صادقاً ولهم جزاء موفور وثواب مذخور عند ربهم بما قدموه وأسلفوه من الأعمال الصالحة الصادقة ؛ فتعجب الكافرون من هذا الرجل العظيم تعجبا حملهم على الكفر به ؛ كما جاء بقوله(إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ) وهذا من سفههم وعنادهم، فإنّهم تعجبوا من أمر ليس ممّا يتعجب منه

(1) ينظر: لباب التفاسير: 996.

(2) سورة يونس: 2.

(3) ينظر:تفسير السمعاني : ٢/ 365.

ويستغرب، وإنّما يتعجب من جهالتهم وعدم معرفتهم بمصالحهم. كيف لم يؤمنوا بهذا الرسول الكريم، الذي بعثه الله من أنفسهم، يعرفونه حق المعرفة، فردوا دعوته، وحرصوا على إبطال دينه، والله متمَّ نوره ولو كره الكافرون[1]. فالإيمان والكفر اجتمعا في الآية المباركة ليحققا عن طريق المقابلة دلالات حجاجية بينت سبل تفكير كل طائفه الاولى: أسلمت وآمنت ؛ لأنها على دراية بما تحتويه نفس محمد (صلى الله عليه واله وسلم) والثانية : كفرت واتهمته بالسحر مع معرفتها بما في داخل نفسه من خصال وجمال لكن حب الدنيا وزينتها دفعهم لذلك .

ومن آيات المقابلة ما ورد في قوله عز وجل**(إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ)** [2]. فهذه من آيات الهبات الربانية التي أعم بها علينا فلو تأملنا النص لوجدنا أن المقابلة جاءت بين (الليل) و(النهار) وكذلك (السماوات) و(الأرض) يقول تعالى ذكره، منبِّهًا عبادَه على موضع الدّلالة على ربوبيته، وأنه خالق كلِّ شيء إن في اعتقاب الليل النهارَ، واعتقاب النهار الليلَ، إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب هذا، وفيما خلق الله في السموات من الشمس والقمر والنجوم، وفي الأرض من عجائب الخلق الدالة على أن لها صانعا ليس كمثله شيء فهذه دلالة وحججٌ وأعلامٌ واضحةً لقوم يتقون الله، فيخافون وعيده ويخشون عقابه على إخلاص العبادة لربهم وإن في ذلك لآيات لمن اتَّقى عقاب الله، فلم يحمله هواه على خلاف ما وضحَ له من الحق؛ لأن ذلك يدلُّ كل ذي فطرة صحيحة على أن له مدبِّرًا يستحقّ عليه الإذعان له بالعبودية، دون ما سواه من الآلهة والأنداد[3]. وهذه كلها إنعاما منه بكل ذلك على خلقه، وتفضلا منه به عليهم وتطولا، فشَكَره على نعمه التي أنعمها عليهم من خلقه خَلْق عظيم، فزاد كثيرا منهم من آلائه وأياديه، على ما ابتدأهم به من فضله وطوله، كما وعدهم وجمع لهم الى الزيادة التي زادهم في عاجل دنياهم، الفوز بالنعيم المقيم، والخلود في جنات النعيم، في آجل آخرتهم وأخر لكثير منهم الزيادة التي وعدهم فمدهم الى حين مصيرهم إليه ووقت قدومهم

(1) ينظر:تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : 357.

(2) سورة يونس: 6.

(3) ينظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٥/ 24.

عليه، توفيرا منه كرامته عليهم يوم تبلى السرائر وكفر نعمه خلق منهم عظيم، فجحدوا آلاءه وعبدوا سواه، فسلب كثيرا منهم ما ابتدأهم به من الفضل والإحسان[1]. فالليل وظلامه وسكونه ، والنهار وضوء شمسه وحركته تموجا في مقابلة هي من الجمال بشيء ومن الحجاج بأشياء إنها دلالة عظيم قدرة الله وعلو شأنه وعظيم ملكوته.

ومن قوله تعالى **(إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ)**[2] فالمقابلة في قوله (بالعشي) و(الإشراق) يقول تعالى إنّا سخرنا الجبال يسبحن مع داود بالعشيّ؛ وذلك من وقت العصر إلى الليل والإشراق؛ وذلك بالغداة وقت الضحى. ذُكر أن داود كان إذا سبح سبحت معه الجبال إذا سبح بالعشيّ والإشراق. ومعنى تسبيح الجبال هو أن الله تعالى خلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فإن اللهَ (عَزَّ وَجَلَّ) بلطفه جعل في سرية هذه الأشياء معنى تعلم السجود لله والخضوع له، وهو كما ذكر في الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب، أخبر أنها تجري بأمره، دل أنها تعلم أمر الله[3] فكان اللَّهُ قَدْ سخّر مَعَ دَاوُد جَمِيع جبال الدنيَا تسبح مَعَه وَكَانَ يفقه تسبيحها والطير تحْشر بِالْغَدَاةِ والعشي تسبح مَعَه والْإِشْرَاق هو طلوعُ الشَّمْس وإضاءتها , يقال شَرقَت الشمس إِذَا طلعت وأشرقت إِذا أَضَاءَت؛ هَذا الِاخْتِيار عند أهل اللّغَة[4]. أسهمت المقابلة في ديمونة الأمر فتسبيح داود فيه سرمدية خلابة أسهمت بالاشتراك بينه وبين المخلوقات البسيطة جميعاً والتي تتبعته في ذلك رحمة الله وهبة كبيرة أولاها له لما كان فيه من خلق ودوام ذكر الخالق (عز وجل) .

(1) ينظر:تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري, محمد : ١/٥ .

(2) سورة ص: 18.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم : ١٣/ 854.

(4) ينظر:تفسير القرآن العزيز:4/ 365.

ومن آيات الهبات الإلهي قوله تعالى(**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا , إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا**)[1] فالمقابلة في قوله تعالى أما(شاكراً) وأما(كفورا) فمعنى الآية واضح وجلي للجميع إن معنى الكلام الجزاء يعني بينا له الطريق إن شكر أو كفر، ثم بين مآل الفريقين بقوله(أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا) أي يجب التدبير والتفكير في آيات الله وهداية الناس إلى الحق فأما أن يكون مؤمناً بالله تعالى ويوم القيامة والحساب أي (شاكراً), وهنا جاءت المقابلة في الجهة الأخرى وهو قوله أما (كفورا) ؛ كما جاء في قوله تعالى (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) أي فهلا جاوز الصراط والعقبة دونها، وفي الباطن عقبتان، إحداهما الذنوب التي اجترحها، يعني بين يديه كالجبل يجاوزها بعتق رقبة، أو إطعام في يوم ذي مجاعة وشدة مسكيناً قد لزق بالتراب من الجهد والفاقة، ويتيماً بينه وبينه قرابة، والعقبة الأخرى المعرفة لا يقدر العارف عليها إلا بحول الله وقوته على عتق رقبة نفسه عن الهوى[2].

ومن قوله تعالى(**أَرَأَيْتمَّ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ , قُلْ أَرَأَيْتمَّ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ , وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)[3]. فالسرمد الدَّائِم وكل شَيْء لَا يَنْقَطِع من غم أَو بلَاء فَهُوَ سرمد وَإِنَّمَا جعل اللَّيْل سرمدا لطوله شبه بالشَّيْء لَا يَنْقَضِي , فالمقابلة بين لفظتي (الليل والسكون) وبين (النهار و الحركة) و جاءت بالترتيب ،ففي الآيتين قدّم الليل على النهار لأن الليل هو الأصل السابق على الضياء بالشمس لزواله لطلوعها. ولأن عموم منافع النهار أعظم من منافع الليل فقدم المنة بالنعمة العظمى. وقوله تعالى في الأولى (تَسْمَعُونَ) ؛ لأن عموم

(1) سورة الإنسان : 3-4.

(2) ينظر: تفسير التستري: 195.

(3) سورة القصص: 71-73.

المسموعات في النهار؛ لسبب كثرة الحركات والكلام والمخاطبات والمعاش أكثر من الليل فناسب ذكر السمع وقوله تعالى في الثانية (تُبْصِرُونَ) ؛ لأن ظلام الليل يغشى الأبصار كلها فناسب ختمها بذكر البصر[1]. إذ جعل هناك علاقة بين الليل والسمع؛ لأن في الليل يقوى السمع لكثرة السكون لغرض الظلمة ، بينما في النهار تكثر الحركة بسبب الأبصار ؛ لأنه جمع الليل والنهار في قوله (لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) ، فجعل السكون مع الليل والحركة مع النهار لطلب الرزق ، وأن الغاية من المقابلة بين الليل والنهار هو طلب المنفعة للناس و قال (لِتَسْكُنُوا) و (وَلِتَبْتَغُوا) ؛ فجاءت مقترنه بلام التعليل ليصبح الكلام متناسقًا بعضه مع بعض[2]. فالاختلاف في الظواهر الفيزيائية هبة ربانية أسهمت في تدارك العبد لسبل معاشه وتحقيق أفانين راحته فكان الليل سكنا له ومعيناً لتحقيق راحة بدنه ولم شمله مع من هم تحت رعايته ، والنهار كان تشرراً للعمل والجهد ولكسب الرزق والسعي في ارض الرب وكلها هبات وعطايا أولاها لعباده على مختلف مشاربهم .

ومن آيات المقابلة ما ورد في قوله عز وجل **(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ , وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ)**[3] والذرة أصغر النمل وهي النملة الصغيرة، وأيضا فمن يعمل في الدنيا مثقال ذرة قدر نملة شرا يره يوم القيامة في كتابه ؛ ومما جاء في كتب التفاسير وقيل هي ما يرى في شعاع الشمس من الهباء، و المقصود رؤية ما يضارعها في الوزن من خير وشر، وعليه ف (من) الأولى يختص بها السعداء والثانية للأشقياء فظاهر اللفظ من هذا أنه يرى الخير والشر ، وإنما يرى ثوابهما والجزاء عليهما من الثواب والعقاب , فالمقابلة في (الخير) و (الشر) فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير، يرى ثوابه هنالك ومن كان عمل في الدنيا وزن ذرة من شر يرى

(1) ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني: 287.

(2) ينظر:غريب الحديث :١/ 521.

(3) سورة الزلزلة: 7-8.

جزاءه هنالك، وأما بقوله (يَعْمَلْ) فهو حث لأهل الدنيا على العمل بطاعة الله، والزجر عن معاصيه[1] . إن المقابلة شأنها شأن سابقتها امتدت أفقياً لتشمل البنية اللغوية للآيتين مقسمة الأحداث على اللغوية إلى حدثين رئيسين، موزعاً في كتلتين لغويتين، صبّت فيهما الدلالتين المتناقضتين؛ إذ انزاح المعنى الإيجابي من عمل الخير دون الشر.

اسهمت المقابلة الحجاجية بمختلف سبلها التعبيرية في بناء النص ، واخفاء صفة التوسع في دلالاته ؛ فضلاً عن أنها في آيات الهبات الربانية بينت ما وهبه الرب لعبده من العطايا حتى في العناصر المتخالفة فكل خلاف في تلك العناصر رحمة وهبة يتلقفها العبد ويشعر بجهل وجودها فهي في أصولها أساس حياته ؛ فضلاً عما احتواه من جمال خلاب أسهم في ترشيح القلوب من أحداث الكفر فما ان تنزلق الموسيقى المصاحبة للمقابلة على مشارف العقل حتى تولد في قلبه ثبات الايمان والحق .

المبحث الخامس : التوازي الحجاجي :

التوازي لغة هو من الجذر (وزي) ويدل بدوره على معنى تجمع الشيء ، واكتنازه[2] وتدور الدلالة اللغوية للتوازي حول معاني المحاذاة ، والاجتماع ، والانقياض [3] ، وهو ماعبر عنه الدكتور أحمد مختار عمر بالتشابه أو التشاكل أو حتى التماثل فيقال : هناك تواز كبير بين فكره وفكر أبيه [4]

(1) ينظر:الإبانة الكبرى :6/ 193.
(2) ينظر : معجم مقاييس اللغة : ٦ / ١٠٧.
(3) ينظر : لسان العرب : ١٥ / ٣٩١.
(4) ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة : ٣/٢٤٣٥.

وقد عرف التوازي بتعريفات عده ، منها أنه عبارة عن " متواليين متعاقبين أو أكثر لنفس النظام الصرفي – النحوي المصاحب بتكرارات أو اختلافات ايقاعية وصوتيه أو معجمية دلالية"[1]

وقد عرفه محمد مفتاح ؛ بأنه :" تنمية لنواة معينة بإركام قسري أو أختياري لعناصر صوتية ومعنوية وتداولية ضمانا لانسجام الرسالة " [2]

وللتوازي أنماط عديده منها (التوازي النحوي والصرفي ، التوازي المتقابل ، التوازي الأحادي ، التوازي المزدوج ، والتوازي المقطعي) [3]

ويعد التوازي عنصرا تاسيسيا وتنظيميا في آن واحد [4] لما يحققه من تناظر وتناغم وتناسب ، بسبب قدرته على تقوية الفكرة المطروحة ، وكذلك يحقق الاقناع الذهني[5]

ويهيئ التوازي أيضا فرصة لتنامي النص ، عن طريق إضافة عناصر جديده قادرة على إنشاء تيار دلالي متدفق في ذهن المتلقي ، فتجعله قادرا على ملء الفراغات التي يخلفها النص؛ فتحقق المتعة الجمالية المتوخاة والتي تنمي قدرة المتلقي على مواصلة في إنتاج الصياغة الدلالية.

ومن الشواهد القرآنية التي ورد فيها التوازي في آيات الهبات الربانية ؛ ما ورد في قوله تعالى **(أَفَرَأَيْتمَّ مَا تُمْنُونَ , أَأَنْتمَّ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ , نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ , عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ , وَلَقَدْ عَلِمْتمَّ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ , أَفَرَأَيْتمَّ مَا تَحْرُثُونَ , أَأَنْتمَّ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ , لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتمَّ تَفَكَّهُونَ , إِنَّا لَمُغْرَمُونَ , بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ , أَفَرَأَيْتمَّ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ , أَأَنْتمَّ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ**

(1) التوازي ولغة الشعر : ٨٠.

(2) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجيه التناص) : ٢٥.

(3) ينظر اللغة الشعرية ، دراسة في شعر حميد سعيد : ١١٧

(4) ينظر : التلقي (مقاربة نسقية) : ١٥٠.

5) ينظر : حوارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع : ٢٣١ .

الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ , لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ , أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ , أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ)[1] . جاء في تفسير قوله تعالى أفرأيتمَّ أيها الناس الماء الذي تشربون، أأنتمَّ أنزلتموه من السحاب فوقكم إلى قرار الأرض، أم نحن منزلوه لكم. وقوله: (لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا) يقول تعالى ذكره لو نشاء جعلنا ذلك الماء الذي أنزلناه لكم من المزن مِلحًا، وهو الأجاج، والأجاج من الماء ما اشتدّت ملوحته، فلو نشاء فعلنا ذلك به فلم تنتفعوا به في شرب ولا غرس ولا زرع. وقوله أفرأيتمَّ أيها الناس الزرع والنار التي تستخرجون من زَنْدكم (أَأَنْتمَّ أَنْشَأْتمَّ شَجَرَتَهَا) يقول أأنتمَّ أحدثتمَّ شجرتها واخترعتمَّ أصلها (أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ) أَمْ نحن اخترعنا ذلك وأحدثناه نحن جعلنا النار تذكرة لكم تذكرون بها نار جهنّم، فتعتبرون وتتعظون بها[2]. فقد شكّل التوازي المعنى الدلالي، وهو إحدى البنيات المركزية التي ساعدت هيكلية الآية الكريمة، وهذه المركزية، والتنظيمية أبرز سمات التوازي؛ فالتوازي عنصر تأسيسي وتنظيمي في آن واحد , يقع التوازي في قوله تعالى (أَأَنْتمَّ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) وقوله (أَأَنْتمَّ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) وقوله(أَأَنْتمَّ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ)وكذلك قوله تعالى(أَأَنْتمَّ أَنْشَأْتمَّ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ) حيث تشكّلت حالة التساوي من تكرار التراكيب في بنية لغوية متشابهة فالتوازي في الآية الكريمة صبّ في قالب لغوي واحد، وفي ثلاث متواليات:

الأولى: أَأَنْتمَّ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ.

الثانية: أَأَنْتمَّ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ.

الثالثة: أَأَنْتمَّ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ.

الرابعة: أَأَنْتمَّ أَنْشَأْتمَّ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ.

(1) سورة الواقعة : 58-72.

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٤٤/٢٣ .

فتماثلت البنيات اللغوية في التكوين فهي مكونة من (همزة استفهام ومبتدأ+ وفعل مضارع + حرف عطف + خبر)، ثم تكرار هذه الصيغة على نسق متساوٍ مع اختلاف في القالب اللغوي الموحد للمتواليات، وتنوع التشكيلات اللغوية . ويمكن أن نلخص التوازي الوارد في الشاهد القرآني كما يلي:

همزة الاستفهام +الفعل المضارع + حرف العطف + الخبر

+ مبتدأ + الخبر الضمير مبتدأ

أَأَنْتُمْ	تَخْلُقُونَهُ	أَمْ نَحْنُ	الْخَالِقُونَ
أَأَنْتُمْ	تَزْرَعُونَهُ	أَمْ نَحْنُ	الزَّارِعُونَ
أَأَنْتُمْ	أَنْزَلْتُمُوهُ	أَمْ نَحْنُ	الْمُنْزِلُونَ
أَأَنْتُمْ	أَنْشَأْتُمْ	أَمْ نَحْنُ	الْمُنْشِئُونَ

ولا ريب أن القرآن الكريم المثل الأعلى المحتذى به في كل الأعمال الأدبية، تلك حقيقة لا ينكرها إلا جاهل أو مكابر، ولن تجد كتابا بلغت تراكيبه البلاغية الدرجة الرفيعة مثله، وإن التالي له ليستنبط من بنائه العجيب توازيا فريدا، يتشكل بوساطة التعالق بين العناصر الصوتية واللفظية والتركيبية المكونة لآياته، فيأسر به القلوب حتى لا تكاد تترك تلاوته وتبيان الأحكام ومراعاة لمقتضى حال المخاطبين وحاجاتهم. أننا أمام متوالية من النعم فقبل أن يتمكن العبد المتلقي من التقاط أنفاسه تنهال عليه الجملة الأخرى بما يتوفر فيها من نعم وكل هذا التوالي الكلامي بالجمل المتشابكة المتوالية يولد ، في ذهن المتلقي مساحة من المبنى ومساحة أكبر من المعنى الذي يجعل الذهن محلقاً في البحث عن مدلولات هذه النعم وعن مقدارها الكبير الذي لا يعد ولا يحصى

. وكل ذلك لبيان قدرة الرب وبيان عظمة خلقة ومقدار ما أنعم على عباده ووهب لهم من عطاياه وفضله الذي لا يتوقف أليته .

وبالتمعن في آي القرآن وسوره يتضح أن للتوازي شكلين بارزين هما: التوازي العام الذي يسم النص القرآني كله، بحيث لا توجد آية إلا ولها تواز مع أخرى كالذي سبق ذكره والنوع الآخر هو التوازي الخاص لاختصاصه بآيات مماثلة في توازيها[1].

ومن التوازي الذي ورد في القرآن الكريم ؛ ما جاء في قوله تعالى**(فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ , فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ , وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ , وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ , وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ , أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ , وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ , وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ , وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)**[2]. فقوله تعالى (فِيها عَيْنٌ جارِيَةٌ) أي مطردة في عين أخدود. وقوله(فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ) يعني الفرش مرفوعة، على كل سرير سبعون فراشاً، كل فراش في ارتفاع غرفة من غرف الدنيا. هذه النعم ليرغبهم فيها، ويحذرهم عقوبته على قدر سلطانه، وكرامته على قدر عظيم شأنه وسلطانه، فلم ينجع ذلك في قلوب كفار مكة فذكر قدرته كي يعتبروا[3]. فقوله تعالى (أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) وهو في الحقيقة تذكير وأمر للمؤمنين بالتذلل والافتقار إليه، فانظروا إلى الإبل كيف خلقت، مع خلقتها وقوتها كيف تنقاد لصبي يقودها فلا يكون لها تحير ولا لها دونها اختيار، فلا تعجز أن تكون لربك كالإبل لصاحبها . فلو تأملنا التوازي في النص لوجدنا في قوله تعالى (وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ , وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ , وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ) فهو وصف لصفات الجنة ومحاسنها فالكلمات (أكواب, نمارق, زرابي) كلمات متماثلة في الأعراب وهي أسماء معطوفه والواو حرف عطف وما بعدها صفات ؛ فنجد التكرار بنمط معين في النظم القرآني ودور هذا

(1) ينظر: نظام الخطاب القرآني : 256.

(2) سورة الغاشية: 12-20.

(3) ينظر: تفسير التستري,: 192.

التوازي في تعميق الدلالة وتحقيق الإيقاع الموسيقي بوساطة المعنى العام للنص على أثر النبر والصوت في تشكيل بنية التراكيب ؛ ولا سيما التراكيب القرآنية ومنه ينتج الإيقاع؛ ويمكن تبيان التوازي في النص بما يأتي:

حرف العطـــف	الاسم المعطوف	الصـــفة
و	أَكْوَابٌ	مَوْضُوعَةٌ
و	نَمَارِقُ	مَصْفُوفَةٌ
و	زَرَابِيُّ	مَبْـثُوثَـةٌ

فالتوازي يجري على استواء واحد في النظم القرآني في تركيب الحروف ومخارجها فلو رجعنا للنص لوجدنا توازياً آخراً ؛ وهو في قوله عز وجل (إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) فالتوازي واضح فهو في قالب واحد وعلى نفس التركيب .

أولاً : إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ.

ثانياً: إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ.

ثالثاً: إِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ.

رابعاً: إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ.

فنجد التوازي في هذا النسق التركيبي نحوياً وصرفياً ودلالياً وتكرار الحروف بنمط معين في النظم القرآني، ودورها في تعميق الدلالة الذي يعطيها إمكانات تعبيرية كامنة تنفجر حيثما يقع التوافق بين الأصوات المتقاربة والمتشابهة فإن الصوت يحقق دلالته إذا وضع ضمن تركيب لغوي ومنه

ينتج الإيقاع في نظام أمواج صوتية ومعنوية وشكلية تتآزر فيما بينها لتشكل توازيا صوتيا راقيا[1]. فجميع الآيات متقاربة في الجانب التركيبي ؛ فقوله تعالى (إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) (إلى الإبل) حرف جر واسم مجرور متعلقان بالفعل و(كيف) اسم استفهام في محل نصب حال و(خلقت) فعل ماضٍ ؛ ويمكن توضيح ذلك عن طريق ما يأتي:

حرف الـــجر	الاسم المجـــرور	الاستفـــــهام	الفعل الماضي
إِلَى	الْإِبِلِ	كَيْفَ	خُلِقَتْ
إِلَى	السَّمَاءِ	كَيْفَ	رُفِعَتْ
إِلَى	الْجِبَالِ	كَيْفَ	نُصِبَتْ
إِلَى	الْأَرْضِ	كَيْفَ	سُطِحَتْ

فطريقة التوازي في نظم القرآن تجري على استواء واحد في تركيب الحروف بوصف أصواتها ومخارجها، وفي التمكين للمعنى بحس الكلمة وصفتها فإنه بمثابة سلسلتين متواليتين أو أكثر لنفس النظام النحوي والصرفي المصاحب بتكرار الإيقاعات الصوتية والدلالية .

ومن قوله تعالى **(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى , وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى , وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى)** [2] فقد وقع التوازي في قوله (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى , وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) ويمكن توضيح ذلك بوساطة ما يأتي:

الفعل الماضي +الضمير المفعول به	حرف العطف	الاسم المعطوف

(1) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : 167.

(2) سورة الضحى: 6-8.

وجدك	ضالاً	ف	هدى
وجدك	عائلاً	ف	أغنى

ومهما يكن الأمر يظل التوازي عند المحدثين ظاهرة دلالية أشد عمقا، فهو عندهم أعم من التوازن الذي هو تعادل فقرات الكلام وجمله كما في النثر المزدوج أو شطري البيت الواحد ، من حيث الإيقاع والوزن ، أما التوازي فهو أن يستمر هذا التوازن في النص كله ، كالذي نجده في القرآن الكريم ؛ إذ يتكرر إيقاع كل شطر منهما في كل بيت منهما ويستمر حتى نهايتها[1]. وهذه النعم كانت مسبوقة بقوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) إعطاء غير محدود متواصل وسرمدي وأتى بالحذف اولا ولم يذكر العطايا وهذا الأمر جعل المفسرون في متاهة تحديد هذا العطاء ، هل هو الشفاعة ، ام النصر , ام النفوذ ، ام فتح مكة ام دخول الناس في الاسلام [2] .

ومن التوازي؛ ما جاء في قوله تعالى(**تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**)[3] وحين ندقق النظر في النص نجده مشتملاً على توازٍ تركيبي صرفي؛ فقوله (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ, وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) نجد هذه الآية مكونة من نفس التراكيب ؛ وكذلك قوله (وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ , وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) ؛ فنجد هذه الآية أيضاً مكونة من نسق وتراكيب متساوية فلكلمات(تولج ، وتخرج) كلاهما أفعال مضارعة والكلمات(النهار والليل) في المثال الأول والكلمات(الحي والميت)في المثال الثاني يحملان نفس الإعراب والتراكيب وكذلك (في النهار ، ومن الميت) أيضاً

(1) ينظر: نظام الخطاب القرآني : 276.

(3) ينظر:التبيان في تفسير القرآن:٣٦٩/١٠ .

(3) سورة آل عمران: 27.

جار ومجرور ويمكننا أن نبين عناصر السلسلة الكلامية في هذا التركيب عن طريق الجدول الآتي :

الفعل المضارع	المفعول به	الجر والمجرور
تولج	الليل	في النهار
تولج	النهار	في الليل
تخرج	الحي	من الميت
تخرج	الميت	من الحي

بوساطة الجدول السابق يظهر لنا التوازي التركيبي والصرفي فإن كل عنصر من عناصر النص يقابله عنصر آخر يحمل الصفات التركيبية. اي تدخل هذا على هذا وهذا على هذا ، فينشأ عن ذلك من الفصول والضياء والنور والشمس والظل والسكون والانتشار ، وما هو من أكبر الأدلة على قدرة الله وعظمته وحكمته ورحمته (وتخرج الحي من الميت) كالفرخ من البيضة ،وكالشجر من النوى ، وكالزرع من البذرة ، وكالمؤمن من الكافر (وتخرج الميت من الحي) كالبيضة من الطائر ، كالنوى من الشجر وكالحب من الزرع ، وكالكافر من المؤمن ، وهذا أعظم دليل على قدرة الله ، وإن جميع الأشياء مسخرة مدبرة لا تملك من التدبير شيئاً ، فخلقة تبارك وتعالى الأضداد ، والضد من ضده بيان إنها مقهورة ، وهذا خير دليل على عظمته تبارك وتعالى وقدرته وتعاليه [1] .

ومن أمثلة التوازي التركيبي الصرفي ما ورد في قوله تعالى **(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ , فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن**

(1) تفسير السعدي : ١٢٧ .

لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ , فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ)[1]. فالآيات الكريمة السابقة تشتمل على إشارات من إبراهيم (عليه السلام) لأبيه وقومه بأن هذه الكواكب والأجرام السماوية، والأصنام ليست مستحقة للعبادة، بل إن الله (سبحانه وتعالى) وحده هو المستحق للألوهية والربوبية، وإنه لما أشار للشمس بـ هنا على الرغم من أنها مؤنث؛ فذلك إيراد لإشارته إليها بلسانه، فإن لسان قومه لم يكن يفرق بين المذكر والمؤنث بوساطة اللفظ، وإنما عن طريق القرائن، هذا علاوة على أنه أراد معنى الربوبية في هذه الإشارة[2] وقد افتتحت الجمل الشرطية في الآية الكريمة السابقة بعنصر الشرط (لما) إذ من أنواع (لما) أن تكون شرطية، وهي في هذه الحالة حرف لا اسم، ولا يليها إلا فعل ماضٍ مثبتاً أو منفية[3]. ويمكننا أن نلحظ عن طريق الآية الكريمة السابقة وجود التوازي التركيبي الصرفي ضمن أسلوب الشرط السابق ويمكن تمثيله بالجدول الآتي:

أداة الشرط	فعل ماضٍ	اسم مرفوع أو منصوب
فلما	جن عليه	الليل
فلما	رأى	القمر
فلما	رأى	الشمس

إذ يظهر لنا بوساطة الجدول السابق أن السلسلة الكلامية قد تشكلت من ثلاثة أطراف كل طرف منها يتشكل من العناصر الآتية (فلما , فعل ماض , اسم مرفوع أو منصوب)؛ وهذا التركيب يجعل هذه الأطراف متوازية تركيبياً في شكلها . انطلاقاً من دخول أداة الشرط عليها، وهي(لما)

(1) سورة الأنعام: 76-78.

(2) ينظر :التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: 6/ 194.

(3) ينظر: الجنى الداني: 595.

وهذا التشاكل التركيبي بين هذه المكونات، توازٍ صرفي بين هذه العناصر ضمن كل طرف من أطراف المتوالية الكلامية، فـ (لما) متشابهة بين العنصرين، والأفعال(جن، رأى) كلها أفعال ماضية، وهذا تشاكل صرفي، والأسماء التي تلي هذه الأفعال هي الليل، القمر ، الشمس، وهي كلها أسماء من صيغة صرفية واحدة، وهي صيغة فعل، باستثناء قمر فهي على زنة فعل، وهذا يعني أنها متوافقة في صيغتها الصرفية؛ مما يجعل شيئاً من التوازي والتشاكل في مكونات النص.

ومن أمثلة التوازي أيضاً ما جاء في قوله تعالى**(وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ , الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ , وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ , فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا , إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا , فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ , وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)**[1]. ففي النص توازٍ وقع في قوله تعالى(وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ, وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) إذ بدأ الآيتين بفعل ماضٍ وبعدها متعلقات الفعل ومفعول به فقد وقع التوازي في قالب واحد وعلى نفس التركيب.

أولاً : وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ.

ثانياً: وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ.

ويمكن تمثيله بالجدول الآتي:

الفعل الماضٍ	الجار والمجرور	مفعول به
وضعنا	عنك	وزرك
رفعنا	لك	ذكرك

(1) سورة الشرح: 2-8.

ولو تأملنا النص لو جدنا توازٍ آخر في قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ , وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) فتراكيب الآية متساوية ويمكن تمثيله بما يلي:

ظرف شرط	الفعل الماضٍ	فعل الأمر
فإذا	فرغت	فانصب
إلى	ربك	فارغب

وفي حقيقة الأمر إنّنا لا نجانب الصواب إنْ قلنا إن وظيفة التوازي ذات طابع جمالي في المقام الأول؛ وذلك انطلاقاً من الأثر النفسي، الانفعالي، الجمالي، الإيحائي للتوازي في النصوص، وصلته الوثيقة بالنظام الإيقاعي بشقيه الداخلي والخارجي للنصوص على تنوعها واختلاف طبيعتها، الأمر الذي يرخي سدولاً بلاغية على حضوره النصيّ، ويجعل من تموضعه النصي بؤراً تنضح بالموسيقى والنغم.

بيد أنَّ الجمال والبلاغة ليسا هدف التوازي ووظيفته الوحيدة، بل يحقق أيضاً أغراضاً دلالية حجاجية، تتفجر طاقاتها في الخطابات تبعاً لقدرة المخاطب، وترويضه للغة وأساليبها، وتطويعها لتتثنى بين يديه ريشة ترسم انفعالات، وإيحاءات، ومشاعر، وأحاسيس تخاطب الجانب العاطفي من الإنسان، من جهة، وتخطّ الحجج، والبراهين، والأدلة، مخاطبة العقل والمنطق، من جهة أخرى.

إن تقديم المعاني في تشكيلات لغوية موحدة تتكرر في المتواليات يصيّر التوازي بؤرة جمالية، تبث النغم والإيقاع، وسحرهما، وبؤرة دلالية تنضح بالمعنى، وتراكمه، وترسخه؛ فبذلك يصبح التوازي في النص القرآني المذكور بؤرة دلالية جمالية في الوقت عينه، وبلا أي لبس، ولا أدنى تناقض، لأن التوازي يضمن ((تقسيم الحدث اللغوي إلى أزمنة منتظمة ذات علامات متكررة،

وذات وظيفة وملمح جماليّ))[1]. والتوازي لا يخرج عن هذه القاعدة، فقد شهد مفهومه توسعا أخرجه من دائرة القافية والسجع الضيقة، ليصبح الأخيران جزءاً صغيراً منه .

(1) علم الأصوات تعريب ودراسة: 199.

الفصل الثانـي

الحجاج اللغوي في آيات الهبات الربانية في القرآن الكريم

العوامل الحجاجية

الروابط الحجاجية

السلالم الحجاجية

لقد توافرت في القرآن الكريم من المعطيات ما جعله يبدو خطاباً حجاجياً، وما جعل الحجاج يصيب كثيرا من العناصر اللغوية فيه، مثل التراكيب، والصور، والكلمات ، وهي تتكرر فيه تكرارا جعل خصائص أسلوبه مميزة عما سواه من النصوص الأخرى[1]. ولقد تعددت وظائف اللغة واختلف العلماء في عدد الوظائف وانواعها وقسموها على وظائف عديدة منها تقسيمات النمساوي كارل بوبر[2].

1-الوظيفة التعبيرية : يعبر بوساطتها الشخص عن حالاته الداخلية.

2-الوظيفة الأشارية : لتبليغ الآخرين بالمعلومات المتعلقة بهذه الحالات .

3-الوظيفة الوصفية : لوصف وقائع العالم الخارجي .

4-الوظيفة الحجاجية : لتقديم الحجج وتسويغها.

وبهذا يعد العالم بوبر أول الذين نبهوا عن الوظيفة الحجاجيه للغة ، فنظرية الحجاج في اللغة منبثقة من نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها (اوستين وسيرك) ، وعمل بعد ذلك ديكرو على تطوير أفكار وآراء اوستين [3].

ومن هنا فإننا ننطلق من فكرة بديهية مفادها أن القرآن الكريم إنما هو خطاب، ووصفه خطابا يتطلب منه الاقناع والتأثير؛ ومما يثبت أنّه خطاب كثرة مخاطباته، حتى أنّ هذه المخاطبات في القرآن جُعلت علما من علوم القرآن[4].

وإذا تأملنا خطاب القرآن وجدنا فيه نوعين على الأقل من المُخاطَبين: نوع يُذكر داخل النص القرآني وهذا بدوره قسمان، قسم مذكور معيَّن باسمه أو بلقبه، أو بضمير الخطاب الذي

(1) يُنظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: 40 .

(2) ينظر : استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) : ١٤.

(3) ينظر: نظريه الحجاج اللغوي عند ديكرو واسكومبر : ١٩٤.

(4) ينظر:البرهان في علوم القرآن : 217 – 253 .

يعنيه، مثل خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وخطاب الكافرين نحو قول الله (عز وجل): (قل يا أيها الكافرون)[1].

وفيه أيضا خطاب بني إسرائيل أو أهل الكتاب، وخطاب الذين آمنوا وهو كثير ، فهؤلاء هم المتلقون أو السامعون الأولون، وهم يمثلون ما يمكن أن يسمى في اصطلاح الحجاج الجمهور الخاص أو الضيق.

وهناك أيضا قسم مذكور في القرآن ولكنه ليس معيَّنًا و لا محددًا، إذ إنَّ المخاطبين هنا ليسوا بأعيانهم، والصورة النحوية التي جعلت لهم ضمير المخاطب المفرد عادة[2] من مثل قوله سبحانه وتعالى: (**وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ**)[3]، و قوله عز من قائل: (**فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ**)[4]. أما النوع الآخر من المخاطبين قواقع خارج النص القرآني المذكور فيه ، ولكنه مع ذلك معين بخطاب القرآن . وهو جمهور السامعين والمتلقين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم .

ومن هنا نتبيّن أنّ الخطاب القرآني في ذلك كله عبارة عن خِطاب حِجاجي يصفه الزركشي بقوله: "خطاب تهييج، وإغضاب، وتحريض، وتشجيع، وتنفير، وتحبيب، وتعجيز، وتحسير، وتكذيب، وتشريف"[5]، وهذا الخطاب استوفى في مضامينه جملة من العناصر التي أسهمت في توجيهه ، وهذه العناصر أسهمت باجتماعها مع بعضها في تحقيق صفة الاعجاز لهذا النص

(1) سورة الكافرون، آية: 1 .

(2) يُنظر: الحجاج في القرآن الكريم، عبد الله صوله : 41 .

(3) سورة الأنعام، آية: 93 .

(4) سورة النمل، آية: 14 .

(1) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : ٤٢ .

المقدس ومن أهم تلك العناصر : العوامل الحجاجية، والروابط الحجاجية، والسلالم الحجاجية والتي ستجعلها الباحثة مداراً لهذا الفصل .

المبحث الأول: العوامل الحجاجية:

إن العوامل الحجاجية في القرآن الكريم تتعلق إلى حد كبير بعلم المناسبة فيه، وعلم المناسبة علم يختص بنحو النص القرآني وكيفية ترابط واتصال أجزائه على مستوى السور التي يتكون منها وعلى مستوى الجملة، ومن هنا تترابط العوامل الحجاجية بالمؤشرات الكلية في بنية النص والدالة على ترابط أجزائه، ومن هنا فقد اتصلت الروابط الحجاجية بعلم المناسبة بوصفه أحد علوم التفسير التي تختص بترابط أجزاء النص الكريم عبر تلك المؤشرات الكلية[1].

و العوامل الحجاجية هي "وحدات مورفولوجية (مورفيمات) إذا جرى تطبيقها في محتوى أو ملفوظ معين أدَّى إلى تحويل الطاقة الحجاجية لذلك الملفوظ؛ إذ يقوم العامل الحجاجي بالربط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي نفسه، وهو على هذا الأساس موصل قضوي؛ إذ يحمل على المكونات داخل الفعل اللغوي، فيبقى هذا الفعل ملتحما"[2].

والعامل الحجاجي يربط بين وحدتين دلالتين ، عندما يكونان داخل القول اللغوي ؛ إذ يقوم بحصر الإمكانيات الحجاجية وتقييدها التي تكون للقول الواحد داخل الخطاب [3] .

وعرفت العوامل الحجاجية آلية خاصه وذلك في العصر الحديث ، على يد "ديكرو" و " آن روبول" و" جاك موشلر" ، وَكُلُّ الدراسات التي كانت قبل هولاء هي عبارة عن إشارات وومضات متلاشية

(2) يُنظر: استراتيجية الحجاج في القرآن الكريم دراسة في العوامل والروابط الحجاجية: 8935 .

(3) الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو : 234 – 235 .

(4) ينظر : الحجاج في كلام الامام الحسين عليه السلام: ١٢٢ : ١٢٣

في إمهات الكتب ، فقد كانت كل في ثناياها المعنى العادي الذي يهدف إلى التواصل ويكون خالي من الأثار الحجاجية [1] .

فضلا عن ذلك فإن العامل الحجاجي "يمثل وحدة لغوية إذا تمَّ إعمالها في ملفوظ معين فإن ذلك يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ"[2] وهذا بوساطة ما يُحدثه في المحتوى الملفوظ الذي يرد فيه، ولا يكون مستمدا من القيم الخبرية التي يضيفها هذا العامل، وإنما من مجرد وظيفته التحويلية الحجاجية الخالصة، ومن هنا فإن تأثيره لا يكون بوساطة وظيفته الخبرية، وإنما من وظيفته الحجاجية[3].

وقد ميز **(دكرو)** بين نوعين من الأدوات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية، فبينما النوع الأول يربط بين الأقوال (الروابط الحجاجية)، ولكن الثاني يكون في القول الواحد؛ وذلك ما يسمى بالعوامل الحجاجية، إذ إنّ العامل الحجاجي "تحول الاحتمالات الحجاجية للمضمون المطبق عليها، وتمدُّ العبارات المتغيرة بإمكانيات استعمالها لهدف حجاجي"[4].

ومن هنا كان للعوامل الحجاجية دور مؤثر في الخطاب؛ لأنها تساعد في اكتشاف وجهة الحِجاج، كما أنها لها سمة ملتصقة باللغات الطبيعية، وليست مُستنتجة من ظروف الكلام أو ملابساته، إذ أن كل جملة تحتوي على مورفيمات وتعابير أو صيغ، والتي تصلح لمنح توجيه للمتلقي، وهذا في الأساس هو جوهر الحجاج في اللغة[5].

(1) ينظر: الروابط والعوامل الحجاجية في ديوان أمل نقل : ٣١.

(2) الحجاجيات اللسانية : 98 .

(3) يُنظر: الحجاجيات اللسانية :99 .

(4) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية :112 .

(1) يُنظر: البنية الحجاجية في شعر عز الدين مهيوبي : 263.

ومن أهم وأبرز العوامل الحجاجية التي يتمَّ دراستها في الخطاب الحجاجي عموما الحصر والاستثناء والنفي وبعض الموجهات اللفظية مثل (ربما، كثيرا، قليلا،) وغير هذه من الموجهات التي توجه القول نحو نتيجة واحدة من هذه العوامل الحجاجية[1]؛ وذلك ما ندرسه في آيات الهبات الربانية في هذا المطلب ومنها:

ـ عاملية القصر بـ(إنّما) :

إنّما هي أحد أدوات الحِجاج، (وإنما) أداة من أدوات التوكيد القاصر، أو الحاصل، أي توكيد مشدد، تأتي "لإثبات ما يُذكر بعدها، ونفيا لما عداها[2]، أي كأن المخاطِب يَصحح بها حكماً سابقاً، وينفيه بحكم آخر، تال للأداة (إنما)، والمُخاطَب لا يجهل هذا الحكم، إذ يُذكره بأمرٍ معلوم، وكذلك ثابت، يقول الجرجاني في ذلك: "لا تقوله لمن يجهل ذلك، ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به، إلا أنك تنبهه"[3].

ومن هنا فإن القصر إثبات لمعنى، ونفي لمعنى آخر غيره، وهذا النفي والإثبات هو مكمن الحجاج في هذا النوع من الأساليب، وفضلا عن ذلك فإن أدوات القصر تعمل على توجيه الملفوظ نحو نتيجة معينة، حتى تحوله من الحلة الإخبارية والتأثيرية والإبلاغية.

ومن المواضع التي يرد فيها هذا النوع من العوامل الحجاجية في القرآن الكريم في آيات الهبات قوله سبحانه وتعالى**(وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ)**[4].

(2) يُنظر م.ن : 263 .

(3) يُنظر: دلائل الإعجاز : 326 .

(4) م.ن : 327 .

(1) سورة الرعد، آية: 36 .

فلفظ (إنما) في الآية عامل حجاجي قصر الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم على الأمر بعبادة الله (سبحانه وتعالى)، وألا يُشرك به شيئا، وقد أفاد هذا العامل (إنما) نفي الأمر عن أي شيء آخر، وكأنما عبادة الله تبارك وتعالى هي كل ما أُمر به النبي صلى الله عليه آله وسلم، ولا شك أن على ذلك مدار دعوة ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم أو أن هذا الأمر هو محور دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فجاءت (إنما) في هذه الآية لتكون أبلغ في التأثر.

"فإن قلت: كيف اتصل قوله (قل إنما أمرت أن أعبد الله) بما قبله، قلت: هو جواب للمنكرين، معناه: قل إنما أمرت فيما أنزل إليَّ بأن أعبد الله ولا أشرك به، فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده، فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله، وأن لا يُشرك به"[1].

وهذا يعني أن قول الزمخشري إن إنكار الدعوة إنما هو إنكار للأمر الإلهي، وبالتالي إنكار لعبادة الله تعالى.

(2) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : 542 .

ـ عاملية النفي :- إنّ النفي بـ(لا) وهي أكثر أدوات النفي ورودا في القرآن الكريم، وهي صالحة لنفي الأفعال والأسماء والجمل؛ لأنها تأتي عاملة مرة، وغير عاملة مرة أخرى، فالعاملة تكون نافية للجنس أو مشبهة بليس، وغير العاملة حين تأتي تكون جوابية أو عاطفية[1].

ومن ذلك قوله (جل وعلا) في آيات الهبات الربانية **(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ)**[2].

فقد استهلت الآية الكريمة بالحديث عن المنافقين الذين يعرفون الكتاب الذي أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم، وهم يعلمون أنه الحق من عند الله، ثم تأتي أداة النفي (لا) لتفصل بين ما بعدها وبين ما قبلها، فإنّ من عرف النبي ورسالته ودعوته ثم لم يؤمن به في خسارة، ومن هنا ينتفي عنه الإيمان "فإذا لم يوجد الايمان منهم فلا تسأل عن الخسارة والشر الذي يحصل لهم"[3]. وهولاء على علم ويقين بأحقية النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في حمل الرسالة؛ ولاسيما أنه ذكر اسمه وصفته في التوراة بل والإنجيل حتى أن بعض قبائل اليهود قد استوطنت المدينة طمعاً في انتظاره الموعود ، ولكن عندما بعث وظهر الاسلام حسدوه غلاً ولم يستقبلوا وجوده خوفاً وطمعاً على الرغم من معرفتهم التامة بصدق رسالة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ونفاقهم . وقد يأتي العامل الحِجاجي بالنفي بـ (لم) وتأتي (لم) في المرتبة الثانية من حيث نسبة ورودها في استعمال النفي، وهي "حرف نفي وجزم وقلب، أي تجزم الفعل المضارع، وتقلب زمنه من الحاضر إلى الماضي، وتنفي حدوثه، والنفي بها منقطع، وهي تؤثر في الفعل تأثيرين، النقل، والنقل إلى الماضي"[4].

(1) يُنظر: الجنى الداني في حروف المعاني: 90 .

(2) سورة الأنعام، آية: 20 .

(3) تفسير السعدي : 281 .

(4) شرح المفصل: 4 / 263 .

ومن ورود هذا العامل في آيات الهبات الربانية قول الله (عز وجل): **(الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)**[1].

فقد أفاد النفي بـ (لم) الحِجاج عن نقاء إيمانهم، وطهارتهم من النفاق، والبعد أيٍّ من ألوان الظلم.

وفي ذلك يقول الدكتور محمود البستاني: "لقد بدأت أقصوصة إبراهيم بمناقشة أباه وقومه على سلوكهم الوثني، ثم عرضت الأقصوصة استدلال إبراهيم في قضية القمر والشمس والكوكب على توحيد الله، وها هي الأقصوصة تربط من جديد بين مناقشة إبراهيم السابقة وبين مناقشة جديدة مع قومه، إذ أن حاجه قومه عن طريق تخويفهم إياه من ترك عبادة الأصنام.... ثم يتدخل النص ليعقب على مناقشة إبراهيم مع قومه في قضية "أيُّ الفريقين أحق بالأمن؛ فيقول **(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ)** وهذا التعقيب له أهميه الكبرى في حقل الأدب القصصي"[2].

فنفي الظلم عنهم هو العامل الفاصل في قضية الإيمان بين المؤمن والكافر، وقد كانت هذه حجة قوم إبراهيم من الذين آمنوا بهم، أنه الخطاب القرآني الذي نفى عنهم الظلم، فكانت النتيجة أن له الأمن، وهو مهتدون.

ـ ومن العوامل الحجاجية (ما – إلا)

(1) سورة الأنعام : 82 – 84 .

(2) التفسير البنائي للقرآن الكريم،:1 / 459 – 460 .

وهذا العامل يعد من طرق القصر في اللغة ، إذ يمثل القصر في اللغة العربية صورة من صور هذه التراكيب التي تأتي للإثبات، ويزيد القصر على قيمة الإثبات بالتخصيص[1]، أي أنه يخصص صفة معينة بموصوف معين؛ يقول أبو البقاء الكفوي: "والقصر في الاصطلاح جعل أحد طرفي النسبة في الكلام سواء كانت إسنادية أو غيرها مخصوصا بالآخر بحيث لا يتجاوزه إما على الإطلاق أو بالإضافة بطرق معهودة"[2].

وأسلوب القصر يوجه إلى ثلاثة أصناف من الخاطبين[3]:

- مخاطب يعتقد رأيا مخالفا.
- مخاطب يشك في الرأي المقدم له.
- ومخاطب يعتقد الشركة بين اثنين أو أكثر في الحكم.

ويكون القصر بطرق أربعة هي:

- القصر بـ (إنّما)
- القصر بالنفي والاستثناء (لا... إلا/ ما..... إلا)
- القصر بالعطف بالأدوات (لا – بل * لكن).
- القصر بتقديم ما حقه التأخير

ومنه هنا نلاحظ أنّ (إنما/ لا..... إلا، ما.... إلا) من العوامل الحجاجية المدروسة في حقل الحِجاج، وهنا سوف نُحاول أن نتناولها من الجانب التطبيقي على آيات الهبات الربانية في القرآن الكريم بتقديم الحجة أو النتيجة، إذ إن القصر له طرفان: مقصور ومقصور عليه، واعتماد أداة

(1) القصر لغة: الحبس، ويفيد في القرآن الكريم معنى التخصيص. يُنظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: 738

(2) الكليات: 716 – 717 .

(3) ينظر:البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني : 364 .

النفي مع الاستثناء يخصص أحد الطرفين على الآخر، وبوساطة ذلك يكون القصر في الحجاج بمثابة تقديم التدعيم والنتيجة داخل سلم حجاجي تنازلي، على وفق هذا الشكل

أداة النفي ـــــ ← نتيجة ـــــ← أداة الاستثناء ـــــ← تدعيم وحجة.

وهذا التدعيم المعتمد عن طريق القصر يأخذ رتبة البرهان الذي لا يرد ولا يدحض، كما أنه يجعل ذهن المُخاطب محصورًا بين ذلك التدعيم وتلك النتيجة المقصودة، دون النظر إلى احتمالات أخرى، وبخاصة أنه يرد بعد الاستثناء؛ فيبرز الجانب التداولي لأداة الاستثناء في القصر داخل سلم الحجاج كونها مقدما للحجج.

ومن ذلك قوله (عز وجل): **(وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاء مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ)**[1].

يذهب الطاهر بن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) "هذا عودٌ إلى مجادلة المشركين في إثبات أن القرآن منزَّل من الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم، فالمعنى: ومثل ذلك التنزيل البديع أنزلنا إليك الكتاب، فهو بديع في فصاحته، وشرف معانيه، وعذوبة تراكيبه، وارتفاعه على كل كلام من كلام البلغاء، وفي تنجيمه، وغير ذلك... وقد أشار قوله تعالى (وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) إلى أنّ من هؤلاء الذين يؤمنون بالقرآن من أهل الكتاب وأهل مكة من يكتمَّ إيمانه جحدوا منهم لأجل تصلبهم في الكفر"[2]. على الرغم من معرفتهم التامة بصدق محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وحقيقة ما جاء به من البينات .

(1) سورة العنكبوت، آية: 47 .

(2) التحرير والتنوير : 21/ 8 – 9 .

ومثل ذلك قوله تعالى: **(ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)**[1].

"الراجح في تفسير هذه الآية أن الرهبانية التي عرفها تاريخ المسيحية كانت اختيارا من بعض أتباع عيسى (عليه السلام)، ابتدعوها من عند أنفسهم، ابتغاء رضوان الله، وابتعادا عن أطوار الحياة، ولم يكتبها الله عليهم ابتداء، ولكنهم حين اختاروها وأوجبوها على أنفسهم صاروا مرتبطين أمام الله بأن يرعوا حقوقها، ويُحافظوا على مقتضياتها من تطهر وترفع، وعفة وقناعة، مما يُحقق في أنفسهم حقيقة الترد لله، التي قصدوا إليها بهذه الرهبانية"[2].

_ عاملية التوكيد :

والتوكيد من أهم العوامل الحجاجية في القرآن الكريم؛ ولا سيما في آيات الهبات الربانية، وتجدر الإشارة إلى أنّ أسلوب التوكيد في كلام العرب لم يكن لونا من ألوان الزينة، أو شكلا من أشكال الحشو الذي يرهق النص بما ليس منه فائدة أو جدوى، ولكنّه ركن من أركان البناء البياني واللغوي الذي زخرت النصوص العربية به، ويستعمل بترتيب درجاته لغويا عند إنتاج الخطاب الخبري في ثلاث درجات من التوكيد، طبقا لثلاثة سياقات، كما يصنفها السكاكي

الخبر الابتدائي.

الخبر الطلبي.

الخبر الإنكاري[3]

(1) سورة الحديد ، آية: 27 .

(2) في ظلال القرآن : 3495 .

3) ينظر: مفتاح العلوم : ٥١ .

إذ إن المرسل لا يستعمل في الخبر الابتدائي أي نوع من أنواع التوكيد؛ وذلك لأن المرسل إليه صافي الذهن تماما من أي حكم سابق عليه، إذ يكفي لهذا ما يعلمه من أن المرسل واثق من صدق خطابه، أما الخبر الطلبي، فإنه يلقي إلى المرسل إليه مؤكدا بأداة واحدة، وفي الخبر الإنكاري يستعمل أكثر من أداة توكيد؛ ليثبت صدقه حين يتصور ان المرسل إليه قد يكون منكرًا"[1].

ومن طريق ذلك فإنّ المتكلم لا يؤكد كلامه إلاّ إذا كان المتلقي في حاجة إلى ذلك، ومن ثُمَ يأتي بمؤكد واحد إن كان المخاطب مترددا في تصديق ما يقال أو ظن ذلك منه, في حين نأتي بأكثر من مؤكد – وقد يشفع ذلك بالقسم – إنْ كان المخاطب منكراً ما يسمع كل الإنكار أو ظن منه ذلك.

يقول الله (عز وجل): **(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)**[2].

فقد أكد الخطاب القرآني في هذه الآية على معرفة أهل الكتاب للقرآن الكريم، وإنه حق، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والذين آمنوا يعرفون ذلك جيدا كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم يكتمون الحق، فقد أكد الله تبارك وتعالى ذلك بأداة التوكيد (إنَّ) ، ومن هنا فإن التوكيد في الآية يحمل الحجة التي تفضي إلى الاقتناع بنتيجة واحدة هي معرفتهم بالحق، ومن ثمّ إقامة الحجة عليهم.

ويقول صاحب الكشّاف: "يعرفونه: أي يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية، يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص (كما يعرفون أبناءهم) لا يشتبه عليهم أبناؤهم

(1) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية لغوية : 524 .

(2) سورة البقرة، آية: 146 .

وأبناء غيرهم، وعن عمر أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أنا أعلم به مني يا بني، قال ولم؟ قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي، فأما ولدي فلعل والدته خانت، فقبل عمر رأسه"[1].

وفيما ذكره الكشاف توضيح لحجية التأكيد عليهم، وإلزامهم بها، خاصة فيما نقله عن عبد الله بن سلام ؛ فضلا عن ذلك فإن التوكيد بالأداتين معًا (إن و اللام) يشكل حجاجا تنازليا ينطلق من النتيجة ليقدم بعد الحجة المدعمة التي تُفضي إلى الإقناع.

ومن عوامل الحِجاج في آيات الهبات الربانية أيضا الحصر بـ (إلا)، فقد ورد الحصر بهذه الأداة في كثير من الآيات.

ومن ذلك قول الله (عز وجل): **(قُلْ أَرَأَيْتمَّ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا)**[2]، فقد قصر دعوى الكافرين وما يجهدون أنفسهم فيه على أنه محض غرور.

"فالحِجة واضحة، والدليل بيّن، فهذه الأرض بكل ما فيها ومن فيها هي مشهودة منظورة، أي جزء فيها، أو أي شيء يُمكن أن مُدَّعى مُدَّعٍ أن أحدا غير الله أنشأه وخلقه، إن كل شيء يصرخ في وجه هذه الدعوى لو جرؤ عليها مدَّعٍ، وكل شيء يهتف بأن الذي أبدعه هو الله، وهو يحمل آثار الصنعة التي لا يدَّعيها مدَّعٍ، لأنه لا تشبهها صنعة مما يعمل العاجزون أبناء الفناء... والظالمون يعد بعضهم بعضا أن طريقتهم هي المُثلى، وأنهم المنتصرون في النهاية، وإن هم إلا

(1) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 103 .

(2) سورة فاطر، آية: 40 .

مخدوعون مغرورون، يغر بعضهم بعضًا، ويعيشون في هذا الغرور الذي لا يُجدي شيئًا"[1]. كما إن الحجة تظهر ((مقدمة مشاهدة انتفاء خصائص الإلهية عن الأصنام وهي خصوصية خلق الموجودات وانتفاء الحجة النقلية بطريقة الاستفهام الانكاري في قوله (أرايتمَّ شركاءكم) يعني ان كنتمَّ رأيتموهم فلا سبيل لكم الا الإقرار بأنهم لم يخلقوا شيئاً)) [2] .

فالغرور هو من دفعكم إلى التكذيب برسالة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) على الرغم من الآيات البواهر التي احتوتها دفتا الكتاب والتي كان أصدق وأكمل ما وصل إلى أذهانهم وعقولهم ولكنهم انغروا بما ملكوا أو استكبروا فلم يتحصلوا من ذلك إلا العذاب .

ومنها قوله تبارك وتعالى: **(وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ)**[3]

قال الطاهر بن عاشور في "التحرير والتنوير" :("عطف على جملة (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) فإنها استدلال على وحدانية الله تعالى وعلى أن معبوداتهم غير أهل لأن تُعبد، فحكى هنا ما استظهروه من معاذيرهم عند نهوض الحجة عليهم يرومون بها إفحام النبي صلى الله علهي وسلم، والمسلمين، فيقولون: لو شاء الله م عبدنا الأصنام، أي لو أن الله لا يُحب أن نعبدها لكان الله صرفنا عن أن نعبدها، وتوهموا أن هذا قاطع لجدال النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم سمعوا من دينه أن الله هو المتصرف في الحوادث فتأولوه على غير المراد منه"[4].

(1) في ظلال القرآن : 2948 .

(2) التحرير والتنوير : ١٧٦/٢٢.

(3) سورة الزخرف، آية: 20 .

(4) التحرير والتنوير: 25 / 184 .

ومن هُنا نتبين من طريق هذه الأمثلة أنّ أسلوب القرآن الكريم تضمَّن عواملاً حجاجية من أجل الإقناع والتأثير وإلزام الحجة، وقد كان من أبرز هذه العوامل – ولا سيما في آيات الهبات الربانية – التوكيد وأساليب القصر – بـ(إنما) وبـ(إلا) – وكذلك أسلوب النفي، وقد تبين أن المُخاطب بهذه الآيات ربما يكون غير خاضع للإذعان أو التصديق لما يُطرح عليه من آيات الذكر الحكيم، ومن هنا فقد عمد القرآن الكريم لهذه العوامل الحجاجية لبناء توتر ذهني سريع المفعول في عقول المخاطب فبين الاثبات والنفي يصبح الإنسان في دوامة من الفعل ورده قد تكسبه ثوب الرحمة وتنقله من خانة الكفر وظلامه إلى نور الايمان إلى رحابة الدين ، من غياهب الجب إلى العز والنصر .

المبحث الثاني

الروابط الحجاجية :

تعد الرّوابط الحجاجيّة من أهمّ وأبرز الآليات اللّغويّة، الّتي يعتمد عليها تحليل الخطاب الحجاجي؛ ذلك لأنه يتمَّ تحديد مفهومها : "كل لفظ يُمكِّن من ربط قضيتين أو – جملتين – أو أكثر لتكوين قضايا وجمل مركبة"[1]، ومن بين تلك الروابط: (حتى ، وبل، ولأن، ولكنَّ، وحروف العطف).

فالروابط الحجاجية هي نفسها " الأدوات التي تربط بين قولين داخل الخطاب ، وتسند لكل أثراً محدداً داخل (الاستراتيجية) الحجاجية ، كما تسهم في تحديد العلاقة التخاطبية العامة انطلاقاً من أثرها في فهم الأبعاد الدلالية ، وكما يعد الرابط الحجاجي في الحجاجية اللغوية موصلاً تداولياً" [2]

هذه الرّوابط تؤدّي دوراً جوهريّاً، ورئيساً من طريق "استثمار كل دلالاتها في ترتيب الحِجج ونسجها في خطاب واحد متكامل، فهي تفصل مواضع الحجج، بل كل حجة منهاتقوي الأخرى"[3]، وذلك ما يجعل الخطاب منسجماً ومترابطاً، من أجلِ تحقيق الإقناع والتأثر في المُخاطّب , فضلا عّما تقدم فإنّ الروابط الحِجاجية من آليات الحِجاج من الناحية اللغوية، فنرى – على سبيل المثال – أن بيرلمان قسّم تقنيات الحجاج على فئتين هذا التقسيم يخص تقنيات الحجاج اللغوية متمثلة في تقنية طرق الوصل وتقنيات طرق الفصل "ويقصد بالأولى الروابط الحجاجية) أي التي

(1) التداولية اليوم علم جديد في التواصل: 265

(2) الحجاج في كلام الامام الحسين عليه السلام : 123

(3) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : 472 .

يظهر فيها فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها ، و كذلك تقويم شكل منها بوساطة الأخرى سلبا و إيجابا وأيضا تقنيات الفصل هي التي تكون غاياتها توزيع العناصر التي تعد كلا واحدا أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها[1].

هذا وإن العملية الحجاجية لا شك في أنها تقوم في جوهرها على مجموعة من العوامل والروابط الحجاجية و هو ما يفرض علينا إفراد ذلك بالبيان وتوضيح الفرق بينهما. فاللغة العربية تشتمل على عدد كبير من الروابط و العوامل الحجاجية، ونذكر من بينها " لكن ، ثم ، في الوقت نفسه، فيما بعد ، قبل أن ، إلى أن ، سمن هنا ، خاصة ن تحديدا ، مثل ، كما أن، أيضا..."[2].

إن هذه العوامل و الروابط من أهم موضوعات الحجاج فيجب معرفة الحجاجيات اللسانية العامل و الرابط الحجاجيين و كذلك معرفة وظيفتها في الخطاب الحجاجي.

ولا شكَّ أنّ هذه الروابط تلعبُ دوراً مهماً في الخطاب الحِجاجي؛ إذ أنها تكسب الخطاب طاقة حجاجية بوساطة ربطها بين مفاصل الكلام و إيصال أجزائه بعضها ببعض، و هي التي تحدد نوع العلاقة الحجاجية، فلكل علاقة حجاجية روابط تقوم بالربط بين القضايا أو الحجج و تقوم بترتيبها بحسب درجة قوتها في الخطاب فتجعل بعض الحجج أقوى من الأخرى و بعضها أضعف، ومن طريق ذلك ترتب درجة إقناعها و قدرتها الحجاجية عن طريق ربطها للمقدمات أو للحجج أو النتائج، فتقوم من طريق ذلك توجيه الخطاب نحو الحجة الأقوى التي تكون خادمة لمقاصد المتكلم وأيضا مؤيدة لمواقفه ، وبوساطة ذلك فإن هذه الروابط لا تكتفي بمجرد الربط بين المكونات والعناصر اللغوية للخطاب ، ولكنها بجانب كل ذلك تزيد عليه بتحديد نوع العلاقة التي تعمل على ربط الكلام بعضه ببعض، وتعمل كذلك على ترتب الحجج بحسب قوتها أو ضعفها ، وكذلك بحسب الجهة التي يقصدها المتكلم وبحسب أغراضه ومقاصده، و من بين تلك الروابط نجد (الواو ، الفاء ، بل ، حتى ، لأن ، إذا...) فهذه أدوات تضطلع بدور حجاجي مهم في

(1) ينظر:استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : 477 .

(2) العوامل الحجاجية في اللغة العربية : 19- 20 .

العملية الحجاجية ، فيصل الخطاب الحجاجي إلى أهدافه و أغراضـه . ومن هنا نتبين بوضوح أن هناك دوراً مهماً جدا للروابط الحجاجية، فهو دور فاعل في الخطاب وفي العملية الحجاجية؛ و ذلك ما جعلنا نهتمَّ به على الرغم من أنها لا تعدو أن تكون عبارة عن حروف لا تحمل معنى في ذاتها ، بل لها معنى في دخولها في بنية الخطاب[1] .

وفي هذا المبحث سنحاول نتبع أهم الروابط الحجاجية التي ظهرت في آيات الهبات الربانية وهي:

الرابط الحجاجي (بل) :

يعني الربط بـ (بل) "الإضراب عن الأول والإثبات للثاني"[2]، ودوره يتجلى في كونه يُقيم علاقة حجاجية مؤلفة بين علاقتين حجاجيتين، ويسيران في اتجاه واحد، ومسارهما يكون بين الحجة القوية التي تأتي بعد (بل) والنتيجة المضادة للنتيجة السابقة.

ومن أمثلة ذلك في آيات الهبات الربانية قول الله (عز وجل) :{ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ}**.[3].

إن الله عز وجل وصف فسادهم وفساد فكرهم، فلا يقنعون بدعوة الحق، ولا يتبعون الحق، فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلاً، ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام، وأن الحق الذي جاء به محمد(صلى الله عليه واله وسلم) هو الاسلام ، إذ أن الحق هو الأحق بالاتباع، والحق

(1) ينظر : اللغة والحجاج : ٢٩

(2) المقتضب : 150

(3) سورة المؤمنون، آية: 71 .

لا يتبع أحد، ومن هنا فقد ذكر القرآن حجة دامغة وقوية على ذلك، وهي أنهم أساسا معرضون عن هذا الحق والذكر، فلا يستمعون إليه ولم يتفكروا فيه ولو قليل، وقد ربط القرآن بين هاتين القضيتين بالرابط (بل)[1].

فالحق في الآية المباركة هو الحق المتقدم في قوله تعالى ((بل جاءهم الحق .....)) وهو الشي الموافق للوجود الواقعي ولحقائق الاشياء وعلم قوله تعالى ((ولو اتبع ..... أهواءهم)) إنّ كراهية أكثرهم للحق ناشئة عن كون الحق مخالفاً أهواءهم فسجل عليهم انهم أهل هوى والهوى شهوة وصحبة لما يلائم غرض صاحبه[2].الربانية التذكير والإعادة والحث على ترك الباطل واعلامهم أن الحق هو سر النجاة وإكبر لمحبة وأساس الحياة فمن تجنبه فالباطل هو مداره والنار هي مثواه .

ومنه أيضا قول الله (تبارك وتعالى): **(سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ,بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ)** [3] . إن القران بوساطة هذا الرابط (بل) ألزمهم الحجة، إذ أنه يقولون أن الخلق كله بيد الله، فهم يقرون بذلك؛ فجاء بالحجة هنا **(بل آتيناهم بالحق)** أي أن الله تعالى أقام عليهم الحج، وآتاهم الحق ليتبعوه، ولكنهم في فعلم كأنهم مسحورون، إذ يرون في قرارة أنفسهم الحق، ويعلمون أن دعوة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) هي الحق، بل إن الله فوق هذه الاعتقاد منهم ساق إليهم الحق، وأرسل فيهم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) لكنهم أعرضوا على الرغم من ذلك.

وهنا قال الطاهر بن عاشور أن في هذه الاية " اضراب لابطال أن يكونوا مسحورين اي بل ليس الأمر كما خيل اليهم" [4] . فالهبة الربانية تميل ببيان الله تبارك وتعالى لحقائق الناس بإرساله

(1) ينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٢١٤/٤

(2) ينظر:التحرير والتنوير : ٧٥/١٨.

(3) سورة المؤمنون، آية: 90 .

(4) ينظر:التحرير والتنوير : ١٨/ ١١٢.

الانبياء والرسل إليهم ولكنهم عصوا أمره ، ولم يستجيبوا له فيما يجيبهم من عبادته وإقامة أحكامه الهادفة لكل خير ، والمنقذة من كل شر ، فالحق هبة الرب مبذولة في السبطية وأنبياء عملوا ما استطاعوا لخدمة عبادة ولكن من تكبر فمسكنه النار وطعامه شجرها.

ومن استعمال هذا الرابط أيضا في كتاب الله تعالى قوله (عز وجل): **(قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا)**[1].

فالمشركين يدعون من دون الله من لم يخلقوا شيئا، وكفروا بالله – تبارك وتعالى – خالق كل شيء ، فهو أحق بالعبادة، وأحق أن ينزهوه عن الشرك، فالله تعالى ألزمهم الحجة بهذا السؤال (أروني ماذا خلقوا) أي أخبروني عن شركائكم أروني أي شيء خلقوا في الأرض ؟ وهم يعلمون الإجابة، إذ أنهم لم يخلقوا شيئا، فالمنطق يقول إنهم يجب عليهم توحيد الله وعبادتهم الأحق بها، وعلى الرغم من كل ذلك يعدون بعضهم بعضا بأنهم على صواب، وهم يعلمون أنهم على ضلال مبين؛ فجاء الرابط (بل) ليُحاججهم عن طريق ذلك الربط بين النتيجة والمقدمة التي في أول الآية الكريمة؛ لان " ما يعد الظالمون بعضهم بعضاً كما يفعله الرؤساء والقادة من المواعيد لاتباعهم إلا غروراً يغرونهم به " [2] ، ويزينونه لهم من المواعيد لاتباعهم إلا غروراً يغرونهم به ويزينونه لهم ، وهو الاباطيل التي تغر ، ولا حقيقه لها وذلك قولهم : أن هذه الآلهة تنفعهم ،وتقربهم إلى الله وتشفع لهم عنده ، وقيل : أنّ الشياطين تعد المشركين بذلك وقيل : المراد بالوعد الذي يعد بعضهم بعضا وهو : أنهم ينصرون على المسلمين ويغلبونهم[3] . فالهبات الربانية تأتي مضمرة ماذا قدمتمَّ وعلى شكل أسئلة بحاجة إلى إجابة ماذا قدمتمَّ هل خلقتمَّ أحد ؟ هبة الخلق ، أم تحصلوا على هبة النبوة وانزل عليهم الكتاب ؟ كلا أنهم قد ظلوا الأخير.

---

(1) سورة فاطر اية 70

(2) تفسير فتح القدير: ١٢١٥.

(3) ينظر: م.ن : ١٢١٦.

ومنه أيضا قول الله عز وجل: **(وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ** ولم يأخذوا من الأمر شيئاً وهباتهم لبعضهم بعض هي النار وزبانيتها التي هي مرتعهم

هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ)[1].

هذا فن من فنون كفرهم بالله جاءوا به للاستهزاء والسخرية ومعناه لو شاء الرحمن في زعمكم ماعبدنا هذه الملائكة وهذا كلام حق يراد به باطل وقد مضى بيانه في الانعام ، فبين سبحانه جهلهم بقوله (ما لهم بذلك من علم) ، وورد في تفسير (إن هم إلا يخرصون) " ما هم إلا يكذبون فيما قالوا ، ويتمحلون تمحلا باطلاً " [2]

إنهم في الآيتين الأوليين مقرون ومعترفون، وهم مستمسكين بالكتاب الذي قبل النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو كتاب موسى (عليه السلام) ، والذي فيه البشارة بمجيء النبي (صلى الله عليه وسلم) ويزعمون أنهم مستمسكون بما جاء فيه، وقد جاء فيه ذكر عن دعوة النبي ورسالته، (بل) ضلالهم أشد من ذلك، إذ قالوا أنهم – على الرغم من ذلك – على آثارِ آبائِهم، يتبعون دينهم، فالربط هنا بـ(بل) جاء مناسباً وقوياً، للإشارة إلى عدم سلامةِ منطِقِهم، ومن ثمّ إلزامهم الحِجة على ذلك.

ـ الرابط الحجاجي (لكن) :

والرّابط الحجاجي (لكنّ)؛ أداة حجاجيّة، تفيد "الاستدراك ولا بد أن يسبقها كلام له صلة معنوية بمعموليها"[3]، وكذلك "لابد أن يكون قبلها كلام يتضمن معنى أصليا يوحى بمعنى فرعي

(1) سورة الزخرف، 20 – 22 .

(2) تفسير فتح القدير: ١٣٣٧.

(3) النحو الوافي، : 1 / 632 .

ناشئ منه، وهذا المعنى الفرعي هو الذي يراد إبعاده بكلمة (لكنّ)"[1]، فتعمل على إزالة الغموض والإبهام عن طريق المعنى الّذي يأتي بعدها.

ودورها يتمثّل في كونها تعمل على رفع ما يتوهّم الكلام مع إثبات ما يتوهّم نفيه، وهذا هو حقيقة الاستدراك فهي من أهمّ الرّوابط الحجاجيّة الّتي تستعمل لتأكيد المعنى"[2].

ومثال الرابط الحجاجي (لكن) قول الله (تبارك وتعالى) في آيات الهبات الربانية :(**لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ**)[3]

هذه الآية نزلت للرد على اليهود والنصارى ، لمّا أكثروا الكلام في شأن القبلة عند تحويل رسول الله (ص) إلى الكعبة ، وذكر الشوكاني أن التقدير " ولكن البر من آمن ، و جه التقدير الفرار عن الأخبار باسم العين عن اسم المعنى ، ويجوز أن يكون البر بمعنى البار"[4] ، فالبر ليس مجرد الوفاء بالتوجه ناحية قبلة معينة، إذ أن المُتوجَّه إليه هو الأولى بذلك البر بعبادته، فتولية الوجه تكون له في الحقيقة، ومن هنا فإنّ البر الحقيقي هو تقوى الله (تبارك وتعالى)، واليوم الآخر، فحيثما أمر الله تعالى بالتوجه إلى قبلة وجب على المؤمنين أن يقولوا سمعنا وأطعنا فالربط هنا بأداة (لكنّ) فيه الحجة عليهم، إذ أن القضية كلها هي طاعة الله حيثما أمر.

_الرابط الحجاجي (حتى) :

(1) النحو الوافي : 1 / 632 .

(2) م.ن : 1 / 632 .

(3) سورة البقرة، آية: 177 .

(4) تفسير فتح القدير : ١١٢

الرّابط الحجاجيّ (حتّى) ودوره يكمن في تنسيق العناصر وترتيب الكلام، بحيث يفيد في الظّاهر الجمع بين حجّتين أو أكثر لهما التّوجه الحجاجيّ نفسه، وقد تأتي (حتّى) الحجاجيّة جارّة أو عاطفة إذا كان ما بعدها داخلاً فيما قبلها وتكون للنّصب أيضا، ثمّ إنّ الحجّة الّتي تلي ذلك الرّابط هي الأقوى[1].

منه قوله تعالى : **(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)**[2].

المسلمون كانوا أذا امسوا حلَّ لهم الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلوا العشاء الآخرة أو يرقدوا ثم إن عمر باشر بعد العشار فندم وأتى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، واعتذر إليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا فنزلت الآية وقد كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب والجماع إلى أن يُصلي العشاء الآخرة، أو يرقد، فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرّم عليهِ الطعام والشراب والنساء إلى القابلة، ثم إنّ عمر واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة، فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه، فأتى النبي – صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله إنّي أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة، وأخبره بما فعل، فقال عليه الصلاة والسلام "ما كنت جديرا بذلك يا عمر" فقام

(1) يُنظر: اللغة والحجاج : 71 – 72 .

(2) سورة البقرة، آية: 187 .

رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء، فنزلت هذه الآية[1] ؛وذلك لتكون حجة لتبين شرع الله في المسألة ، فاستعمل الرابط الحجاجي (حتى) .

ووجه الربط الحجاجي هنا هو أنه قد يظن المُخاطب أن الله قد أحل الطعام والشراب دون تحديد وقت، فجاء الرابط الحجاجي (حتى) في هذا الآية ليحدد ويربط هذا الوقت بمدن معلومة؟، لها علامة، وهي (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) أي حتى يتبين لكن الليل من النهار، فعندئذ يجب الإمساك عن كل ما ذكرته الآية الكريمة: الطعام والشراب والجماع.

وهذه الهبه شرعت بعد حين وكان فيها تنظيماً لأمر الصيام وأوقاته وزمنه؛ فخفف تبارك وتعالى عن المسلمين بعض الشيء حتى يتحملوا متطلباته كافة[2] . فالهبة الربانية كانت في أحد الأحكام المنظمة للصيام ، فحققت عن الناس بعض قيوده التي فرضوها بأنفسهم .

ـــ الرّابط الحجاجيّ (حروف العطف) :

يقصد (حروف العطف (كرابط حِجاجي) بها "الرّوابط الّتي تجمع بين وحدتين دلاليتين – أو أكثر – في إطار استراتيجية حجاجية واحدة...فقد يربط الرابط بين قولين، وقد يربط بين عناصر غير متجانسة"[3]؛

(1) ينظر:تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :114 . ينظر تفسير البيضاوي ، انوار التنزيل واسرار التأويل : ١ / ١٦٩.

(2) ينظر : جامع البيان في تفسير القرآن : ٢/٩٤.

(3) التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه : 148

وذلك من أجل تحقيق خاصيّة ترتيب وانسجام الخطاب، ومن هذه الرّوابط (الواو)وتعني: "إشراك الثّاني فيما دخل فيه الأوّل، وليس فيها دليل على أيهما كان أولا"[1].

ومن حروف العطف التي تستعمل كرابط حِجاجي أيضا (ثمَّ) وهو "حرف عطف، يشترك في الحكم، ويفيد الترتيب بمهلة"[2]

ومن أمثلة ورود الربط بأداة (ثم) في آيات الهبات الربانية ؛ قوله تعالى: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ، ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)**[3].

إنّ الله (تبارك وتعالى) أرسل الكثير من رسله إلى البشر، يُريد سُبحانه وتعالى لهم الهِداية، فقد أرسل نوحاً وإبراهيم :"والتقفيه: إتباع الرسول برسول آخر، مشتقة من القفا؛ لأنه يأتي بعده، فكأنه يأتي على جهة قفاه، وقد تقدم قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل)"[4].

فمقاصد هذه السورة العظمى الإعلام بنسخ الشرائع كلها بشريعة هذا النبي الفاتح العام للرسالة لجميع الخلائق (ص) قال مبشراً إلى عظمة الارسال والرسل بأداة التراخي (ثم قفينا) أي بما لنا من عظمة تقفية لها من العظمة ما يجعل وصفه (على آثارهم) أي الأبوين المذكورين

(1) المقتضب : 148 .

(2) الجنى الداني في حروف المعاني : 99 .

(3) سورة الحديد، آية: 26 – 27 .

(4) تفسير التحرير والتنوير: 27 / 420 .

ومن مضى قبلهم من الرسل ، ولا يعود الضمير على الذرية ؛ لأنها باقية مع الرسل وبعدهم أي ارسالناهم واحداً في أثر واحد بين ما لا يحصى من الخلق[1]

ومن هنا جاء الرابط الحجاجي (ثم) الذي يوحي بإرسال الرسول بعد الرسول، ومن ثمّ ففي ذلك إلزامهم الحجة، حتى لا يقولوا يوم القيامة أو يدعوا أن اله لم يرسل لهم من يبين لهم شرائعه.

المبحث الثالث : السلالم الحجاجية :

يعد الخطاب القرآني خطابًا حجاجيًا؛ لأنه نزل للرد على خطابات تعتمد عقائد ومناهج فاسدة؛ ولكونه يطرح أمرًا مهمًا يمثل عقيدة التّوحيد، بحجج مختلفة المستويات، والمدعّمة ضدّ ما يعتقده المتلقون من مشركين وملحدين، ومنكرين النبوّة والمجادلين. ولعلّ في اختلاف مستويات التّلقّي هذه ما يؤكّد الصفة الحجاجية للقرآن.

ويعد السلم الحجاجي "مجموعة غير فارغة من المقولات, مزوّدة بعلاقة ترتيبية" [2] ويعتمد السلم الحجاجي في الخطاب على التدرج في استعمال الحجج والأدلة وتوجيهها؛ لأن الحجاج بوصفه منظومة لغوية لا يرتبط بالفحوى الكلام وما يأتي إليه من مرجع, وإنما يرتبط بقوة الحِجج وضعفها ومدى خضوعها للصدق والكذب. فالمتحدث ينظّم حججه في أثناء الكلام على وفق نظام تتحكم به معطيات متعددة, منها مرتبة المتحدث وطبيعة السامع, والسياق المحيط بالخطاب الحِجاجي، فـ"السلّم الحجاجي ه و علاقة ترتيبية للحجج" [3] و "هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الاقوال مزودة بعلاقةٍ ترتيبيةٍ وموفّيةٍ بالشرطيين التاليين:

(1) ينظر:تفسير ابن عرفة : ١٦٧/٤.

(2) الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله : 93 .

(3) التّحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه :59.

أ – كل قول يقع في مرتبة ما من السلّم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب – كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه " [1].

للحِجاجية قوانين وهي:

1 – قانون الخفض: مقتضى هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.

2 – قانون تبديل السلم: مقتضى هذا القانون الثاني أنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين؛ فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.

3 – قانون القلب: مقتضى هذا القانون الثالث أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإنه نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول [2] .

وفي القرآن الكريم كثير من الآيات القرآنية التي تتضمن سلالم حِجاجية في آيات الهبات الربانية ؛ منها قوله تعالى : **{اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ***

(1) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: 277.

(2) ينظر : اللسان والميزان أو التكوير العقلي : 226.

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[1]

فلكي تكون الحجة دامغة ولا ريب فيها يذكر القرآن الكريم كيفية رفع السماوات السبع بركائز أو"بِعَمَدٍ لَا تَرَوْنَهَا"[2] . أما الاستواء على العرش فهو كناية عن الاحتواء للملك والأخذ بزمام الأمور، وهذا يناسب كبرياء الله وقدسه وظهور سلطنته على الكون واستقرار ملكه على الأشياء بتدبير أمورها وإصلاح شؤنها[3].

ثم أجرى لنا الشمس والقمر هبة منه علينا، ورحمة منه بنا؛ لنعم عدد السنين والحساب، ونعرف الليل من النهار كل ذلك يجري لوقت معلوم [4].

لقد ذكر القرآن الكريم حِججه ابتداء من الأكبر ثم الأصغر فالأصغر، فالسماوات وتثبيتها من غير عمد أعظم من الشمس التي تمنح الكائنات الدفء والأشعة وهي أكبر من الشمس الذي يعطي الأرض ضياءه الذي اكتسبه من الشمس.

ثم يعود القرآن الكريم مرة ثانية في الآية نفسها ليحاجج الناس بالهبات التي وهبها إياهم ويذكرها تنازليا من الأعلى إلى الأدنى ؛ فلقد جعل الله الأرض متسعة ممتدة، وهيأها للمعيشة، وجعل فيها جبالا تثبتها وأنهارًا لتشرب منها الكائنات وللنقل والسفر، وجعل فيها صنفين اثنين من كل الثمرات. فكل هذه الحجج التي ذكرها القرآن الكريم جاءت لكي يتفكر الإنسان في آيات وليوقن بلقاء ربه يوم القيامة.

فالسلم الحِجاجي في النص يبرز تصاعدياً بوساطة الخطاطة الآتية:

---

(1) سورة الرعد: 2-3.

(2) تفسير مجاهد: 403

(3) ينظر : تفسير الميزان : ١٤ / ١٢١.

(4) ينظر: م.ن : ١٤/ ١٢١ .

ن: التيقن من قدرته تبارك وتعالى

٤_ يفصل الآيات .

٣_ تسخير الشمس والقمر.

٢_ استوى على العرش .

١_ رفع السماوات بغير عمد .

فالسلم الحجاجي راعى التدفق الزمني للأحداث حسب زمن حدوثها؛ وكل ذلك كان سببه بيان قدرة الله التي سخرت كل شيء للإنسان حتى يتيقن ويؤمن ويعبد القادر المتمكن العزيز المنتقم.

وهناك آيات أخر تتضمن هبات ربانية يقدم بها الله للناس البراهين والأدلة على وفق السلالم الحجاجية، يقول تعالى: **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ}**[1] . بعد أن أمر الله ملك الموت بقبض أرواح جميع الخلق؛ فضلا عن الملائكة المقربين ليخلو الكون من الخلائق ويبقى وجه الله ذو الجلال والإكرام؛ ينفخ بالصور ثانية؛ فيقوم الناس من موتهم فينظرون إلى عظمة خالقهم [2] .

(1) سورة الزمر : الآية 68- 70.

(2) ينظر: البرهان في تفسير القرآن : ٤/ ٧٣٢ .

ثم أشرقت الأرض بنور ربها ووضع "كتاب أعمالهم لمحاسبتهم ومجازاتهم" [1] ، وجيء بالنبيين " فشهدوا عليهم بالبلاغ"[2] بالشهداء وهم "الأئمة (عليهم السلام)، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الحج: لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا- أنتمَّ يا معشر الأئمة- شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ" [3] . "فشهدوا عليهم بأعمالهم التي عملوها وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ يعنى بالعدل وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ في أعمالهم وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ بر وفاجر مَا عَمِلَتْ في الدنيا من خير أو شر وَهُوَ أَعْلَمُ بِما يَفْعَلُونَ" [4] .

فالتصاعد المتسلسل بالأحداث في الآيات الكريمات، من فعل النفخ في الصور وموت الكائنات مباشرة؛ بسبب عظمة الصوت والرهبة، ثم النفخة الثاني التي تكون فاصلا بين حياة العالم البرزخ وعالم الآخرة التي بدايته التحول الكوني الكبير وهو أن تستمد الأرض نورها من الله سبحانه وتعالى بعد أن كانت تأخذه من الشمس.

كل هذه حجج استعملها القرآن الكريم للفت الانتباه وتنشيط الأذهان ليوم تشخص فيه الأبصار ولا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وكما في الخطاطة الآتية :

ن: الجزاء الثواب والعقاب .

٦_ الحساب والقضاء .

٥_ مجيء الانبياء والشهداء .

٤_وضع الكتاب .

(1) تفسير الطبري جامع البيان :٢١/ 326 .

(2) تفسير مقاتل بن سليمان : ٦٨٨/٣.

(3) البرهان في تفسير القرآن : ٤ /٧٣٥ .

(4) تفسير مقاتل بن سليمان : ٦٨٨/٣.

٣_ اشرقت الارض بنور الرب .

٢_ النفخة الثانية القيام والانتظار .

١_ النفخة الاولى في الصور فصعقت المخلوقات .

فالآية المباركة وما تلاها فيها دلالة وتدرج زمني على ما سوف يحدث في نهاية الأمر فما أن نفقد الأرض والسماء ما عليها حتى تبدأ الرحلة الثانية نحو الخلود فالصعقة الأولى المنبهة للقيام ، ومن ثم القيام فإشراق الأرض ووضع الكتاب وجيء بالأنبياء والشهداء ، والشهادة مطلقة وظاهرة للجميع هو الشهادة على أعمال الأمم وعلى تبليغ الرسل [1].

ويظهر السلم الحجاجي في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتمَّ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}** [2].

وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولاً ، ثم نطفة ثانياً ولاتناسب بين الماء والتراب ، وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ، ثم يجعل العلقة مضغة ، والمضغة عظاما: قدر على إعادة ما أبداه [3] ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة , أي : من النطفة مخلقة ، وغير مخلقة يعني الجنين السقط الذي يخرج من بطن والدته مصورا وغير بمصور ، ثم نخرجكم من بطون أمهاتهم طفلاً ثم لتبلغوا ثماني عشرة عاما إلى أربعين سنة ، ومنكم من يتوفى من قبل

(1) ينظر : مفاهيم القرآن : ٣٢٥/٥

(2) سورة الحج: 5.

(1) ينظر : تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١٧٧/٤.

بلوغه ، ومنكم من يرد بعد الشباب إلى (ارذل العمر) يعني الهرم، فذكر بدء الخلق، ثم ذكر الأرض الميته كيف يحيها ليعتبروا في البعث فإن البعث ليس بأشد من بدء الخلق ومن الأرض[1].

فالحجج في هذه الآية جاءت لدحض الشك في البعث بعد الموت والحياة الآخرة؛ فوردت كما يلي :

ن: التعلم والتفطن لقدرة الله .

٨_ الشيخوخة

٧_ مرحلة الشباب

٦_ الولادة

٥_ الاستقرار في الارحام

٤_ المضغة

٣_ العلقة

٢_ النطفة

١_ بدء الخلق

فالسلم الحجاجي فيه تصور تام من مراحل الحياة منذ أول بذرة إلى أن يصل الإنسان إلى ارذل العمر أو قد تخرم حياته قبل ذلك وكل هذا الإلمام الحجة البالغة على هذا المخلوق وبيان عظمة الرب وجميل هباته عليه في مختلف مراحل حياته والتي كانت وماتزال ماثلة أمام الإنسان حتى يتفطن إلى القدرة والعظمة والنعم والعطايا الربانية التي قد تصل به إلى جادة الصواب .

ومن الآيات الأخرى التي تضمنت السلالم الحجاجية قوله تعالى: **{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا**

(2) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان : ٣/١٥٥.

النَّهَارَ مَعَاشاً * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً * وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً * وَأَنزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً * إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً * يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً * وَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً * وَسُيِّرَتْ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً} [1]

إذ بدأ الحجاج بالاستفهام المنفي (ألم) ثم شرع بتعداد الهبات الربانية التي منحها الله للبشرية والتي هي: ألم نجعل الأرض مهاداً يعني فراشات ، وبساطا مسيرة خمس مئة عام ، وجعل الجبال اوتاداً على الأرض لكيلا تزول بأهلها فاستقرت ثم خلق الجبال بعد خلقه للأرض ، وخلقناكم ازواجاً يعني اصنافاً إناثا وذكورا ، بيضا وسودا وحمراء ، ولغات متعددة ، فإذا ادخل الليل أخذكم النوم فخلدتمَّ إليه ، وجعل الليل سكنا ، فألبسكم ظلمة الليل ، ثم جعل النهار من أجل أن انتشروا لمعيشتكم ، ثم بنى فوقكم السموات وغلظ كل سماء عام ، وبين كل سماءين مثل ذلك نظيرها ، وجعل الشمس المتوهجة وحرها ، وانزل مطراً كثيراً منصباً متتابعاً ليخرج من المطر كل شيء من الحبوب ونبات ينبت في الجبال والصحارى من الشجر والكلأ. ، وهي تنبت كل عام من تلقاء نفسها [2] .

في النص تنبيه على وجه الاستدلال على صحة ذلك فقال : ((ألم نجعل الأرض مهاداً) أي وطاء وهو القرار المهيأ للتصرف فيه من غير اذية ... ومهد الأرض امتهد امتهاداً ... لأجل

(1) سورة النبأ: 6-20

(2) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان : ٥٥٨/٤.

التوطنة للنوم ، والقيام عليها وأصل الباء التوطئة [1] .فالسلم الحِجاجي في النص يبرز. تصاعدياً بوساطة الخطاطة الآتية :

ن: القدرة وحسن الخلق والهبات التي لاتعد ولا تحصى .

٩_ الكلأ والحب والرزق

٨_ الماء سر الحياة

٧_ الضوء والاهتداء بالنجوم

٦_ بناء السماء وزينتها

٥_ المعاش والحركة

٤_ النوم والراحة والسكينة

٣_ الخلق

٢_ تثبيتها بالجبال

١_ تمهيد الأرض

أوضحت هذه الآيات كيف خلق الله هذا الكون الفسيح وما عليه من كائنات ، ثم بقية النعم التي جاءت لإكمال الهبات والعطايا التي دلت في أول الأمر على جزيل النعم ، وتأسيس الأسباب التي بموجبها وجوب العبادة بمصاحبتها فكل ما وهب لهذا المخلوق من عطايا لابدّ أن يكون في المقابل شيء من رد الهِبة وهُنا لا يخرج الأمر من العبادة والايمان بوحدانية الله تبارك وتعالى لذا

(1) ينظر:التبيان في التفسير : ٢٣٧/١٠.

جاءت هذه الآيات متسلسلة زمنياً لتعكس أول الخلق ولتظهر القوة الربانية المحققة للأسباب جميعها ، ولبيان أن كل أمر وضع بترتيب محكم وقدر معين خدمة لمخلوقات الرب .

يقول تعالى في محكم كتابه الكريم : **{قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}** [1] .

تضمنت هذه الآيات المباركة أربع حجج تتحدث عن قدرة الله تعالى التي وضعها في خلقه ، فيذكرهم به تنشيطاً للأذهان ، وتنبيه قبل التهديد والوعيد ، فالذي خلق الأنسان واعطاه الإحساس والأدراك وخلق له السمع و والأبصار والأفئدة ، وجعلكم تتكاثرون في الأرض ، وأعمركم إياها ، وبعد الحياة خلق لكم الموت ، فبعد أن أكثركم في الأرض ، يبدأ يزيلكم بالموت فترجعون إليه .

ـ ن : بيان قدرة الله سبحانه وتعالى .

٤ـ وإليه تحشرون .

٣ـ قل هو الذي ذرأكم في الأرض .

٢ـ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة.

١ـ قل هو الذي أنشاكم .

أوضحت هذه الآيات قدرة الله تعالى على خلق الإنسان وجعله يدرك الأمور ويحسها ويراها ويسمعها ... وفي المقابل خلق الموت والفناء ومن ثم يكمن في التراب بذوراً إلى يوم النشور يوم يبعث الإنسان حياً ليحاسب أو يجازى على أعماله فالله تعالى له القدرة على أعادة الخلق من جديد كما خلقه أول مرة ، فهذه القدرة تزيل كل وهم وكل ظن بعدم وجود خالق فالقفز مصادفة

(1) سورة الملك : 23- 24.

غير ممكن فكل شيء قد وضع موافقة فالخالق أراد وخلق ومن ثم أراد فاخذ . السلم المبتهج بهذه الألوان الأربع قد جعل المستحيل [1] .

هذا الانتقال من توجيه الله تعالى الخطاب إلى المشركين للتبصر بالحجج والدلائل وما تخلل ذلك من الوعيد أو التهديد إلى خطابهم على لسان رسوله (صلى الله عليه واله وسلم) بأن يقول لهم ما سيذكر تفننا في البيان وتنشيطاً الأذهان حتى كأن الكلام صدر من قائلين ترفيعاً لقدر نبيه (صلى الله عليه واله وسلم) بإعطائه حظا من التذكير.... والانتقال هنا إلى الاستدلال بفروع المخلوقات بعد الاستدلال بأصولها ، ومن الاستدلال بفروع أعراض الإنسان بعد أصلها فمن الاستدلال بخلق السماوات والأرض والموت والحياة إلى الاستدلال بخلق الإنسان ومداركه [2] . فكل هذه الحقائق المؤكدة والعطايا الباهرة هي بيان لقدرة الله تبارك وتعالى وتأكيد على المشيئة المتحكمة في كل أمر والقدرة على إتمام كل أمرٍ ، وكل هذا مع العرض والتوجيه لمن هو مخلوق ، حتى يحكم عقله ويعود إلى سبيل الرشاد.

(1) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن : ١٠/ ٤٩٣.

(2) ينظر:التحرير والتنوير : ٢٩/ ٤٤.

الفصل الثالث

الحجاج البياني في آيات الهبات الربانية في القرآن الكريم

المبحث الأول: التشبيه الحجاجي

المبحث الثاني: الاستعارة الحجاجية

المبحث الثالث: المجاز الحجاجي

المبحث الرابع: الكناية الحجاجية

ترتبط اللغة عموماً بأسلوب وطيد بالكائن البشري حتى لا يمكننا أن نتصور أحدهما دون الآخر، ولا توجد جماعة إنسانية بدون لغة يتواصل أفرادها بها ويعبرون عن أفكارهم وحاجاتهم عن طريقها ، ومن هنا فإنها سمة الكائن الحي الذي يتميز بها عن غيره من المخلوقات، وقد عرَّف ابن جني اللغة على أنها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1]، وهذا التعريف يدلنا على عدة خصائص للغة منها كونها أصوات وليست كل الأصوات، ولكنها أصوات محددة تنتظم في شكل معين بهدف إنشاء كلمات وجمل تخلق معاني محددة في ذهن الإنسان ثم يتفق القوم أو الجماعة اللغوية على استخدام هذه المعاني .

وإذا نظرنا إلى اللغة العربية بوجه خاص نجد أنّ الأمر أكثر إثارة؛ إذ أنّ اللغة العربية تتميز بكونها ذات علاقة وثيقة بالدين، وهي علاقة لا تملكها غيرها من اللغات الأخرى، وهذه اللغة هي لغة الدين الإسلامي الذي يُغطي معتنقوه ربع سكان العالم تقريبا، وهذا الدين هو من يمنحها الاستمرار في الحفاظ على كيانها، وليست هناك لغة على وجه الأرض أقدر على الاحتفاظ بكيانها وخصائصها اللغوية من البيان بفروعه (التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية) والنحو والتصريف والبلاغة عموما والدلالة، من هذه اللغة وعلى الرغم من حدوث الكثير من التطورات وزيادة المفردات الجديد التي تأتي لمواكبة الحياة ومتطلباتها، فإن العناصر الرئيسة في العربية لا تتغير على مرّ الزمان كل ذلك ؛ بسبب الإسلام الذي يحتويها في عباداته وفرائضه وشعائره التي يؤديها المسلمون يوميا.

وقد كان البحث في علم البيان قد أخذ حظاً وافرا في الدراسات القرآنية والحِجاجية في القرآن الكريم، وذلك لمجموعة من الاعتبارات المهمة ، منها – على سبيل المثال – أن أرباب

([1]) الخصائص : 33.

البيان وحُذَّاق البلاغة رأوا أن الصورة البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل مجازاً إنما هي أصول كبيرة تتفرع عنها محاسن النظم والكلام والحجاجي في الخطاب القرآني.

فاللغة القرآنية تمتلك مظهراً حجاجياً قناعياً، بجانب ما يتوشحها من مظهر جمالي إمتاعي عُرفت به، وقد لازمتها هذه الازدواجية في الوظيفة فاستطاعت بوسطتها أن تمتلك الأفئدة وتستبد بالنفوس، ومن هنا كانت الغاية هي تنويع ضروب التعبير عن الفكرة بهذه الطرق المختلفة في تأدية المعنى على تنوعها، فتتفاوت من حيث الجمال والإقناع لخاصية إبداعية فيها[1]

فاللغة القرآنية لغة متوشحة بالجمال والإبداع والحجاج ، والجدل فضلاً عن قدرتها على توليد المعاني بوساطة الفاظها وتراكيبها التي احتوت بين عناصرها كثيراً من هذه حتى أضحت مقترنة الاعجاز الذي تحقق باجتماع عناصرها معاً.

وفي هذا الفصل سنحاول تتبع أهم العناصر اللغوية البيانية التي توشحت بصبغة حجاجية وخالجت جنبات القلب وخرجت متجاوزة لقالبها اللغوي ، قالب آخر يتمثل في معنى المعنى ومن هم دور ذلك المراد في تحقيق الحجاج وكل ذلك في آيات الهبات الربانية في القرآن الكريم وأهم تلك العناصر . التشبيه ،الاستعارة، المجاز، الكناية .

(1) يُنظر: البيان الحجاجي بالمشابهة : 254 – 255 .

المبحث الأول : التشبيه الحجاجي :

إنّ التشبيه الأدبي يمثل الجوهر الكامن في الصورة البيانية ، حتى إن لم تكن تشبيهية فعلا، فهي كذلك ما دامت محتويه على أركان الصورة الأساسية ، التي تشمل على طرفين مهمين هي المشبه والمشبه به ويجمع بينهما ركن ثالث هو وجه الشبه [1]

جاء تعريف التشبيه اصطلاحاً : هو عقد مماثلة بين أمرين، أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرض يقصد المتكلم للعلم[2] . ومن تعريفاته أيضاً هو إلحاق أمر "المشبه" بأمر "المشبّه به" في معنى مشترك "وجه الشبه" بأداة "الكاف وكأن وما في معناهما" لغرض "فائدة"[3] . وذهب قدامة بن جعفر (ت 337 هـ) بقوله أن التشبيه "إنّما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمّهما، ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها". وهذا التعريف موافق لما جاء به بعد حين من الدّهر الخطيب القزويني الذي تقدّم ذكره ولو كان المتأخّر أقلّ وضوحاً من المتقدّم. ويزيد فهم الرّماني للتشبيه وضوحاً. فالرمّاني (ت 386 هـ)، ذهب إلى أنّه "العقد على أنّ أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسّ أو عقل"[4]

العقل الذي هو اساسه يتوشب لوضع العناصر اللغوية في معين وبوتقه معينة يحقق عن طريقها الاقناع.

فالتشبيه الحِجاجي له دلالة مؤثرة ؛ بوصفه من العلامات الحِجاجية المهمة ؛ لأنه عادة مايدعم عملية الحِجاج ويدفع بها إلى الاقناع عن طريق الاعتماد على مجموعة من الوسائل .

(1) ينظر : الحجاج في الخطابة والرسائل في مصر زمن الحروب الصليبيه : ١٠٧.

(2) ينظر:جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: 219.

(3) علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»:213.

(4) م.ن: 143.

التي تشكل اتصالاً مؤسسا للحج مبنية على الواقع [1]هذا وإن الخطاب القرآني بحواراته بقف عند عنصري التأثير والإقناع ففي الحجاج يقوم كل طرف بإقناع الطرف الآخر مستعملاً في ذلك الآيات الحجاجية وبما أن القرآن الكريم نزل على قوم أهل فصاحة وبلاغة لذا كان وجود الوسائل البلاغية أمراً من وسائل الاقناع وهذه الأساليب التي جعلت العرب عاجزين على الإتيان بمثله ومن تلك الوسائل الأساليب البلاغية ؛ لان البلاغة وسيلة لمعرفة إعجاز القرآن[2].

وقد كثُر الحجاج بالتشبيه في آيات الهبات الربانية كقوله تعالى (مَّثَلُ **ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ** [3](. فضرب الله ذلك مثلاً في أن النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف , وفي مضاعفة ذلك في غير ذلك من الطاعات أن الحسنة في غير ذلك بعشرة أمثالها , ويجوز مضاعفتها بسبعمائة ضعف , فالتشبيه هنا هو إن الله تعالى يبارك في أموال الذين ينفقون في سبيل الله ويزيدها من فضله حتى تثقل في الميزان أو ليس على ظاهره والمراد به عظم ثوابها ومضاعفة أجرها وهو كقوله تعالى(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل) فكذلك المنفق ماله على نفسه في سبيل الله، له أجره سبعمائة ضعف على الواحد من نفقته ويراد به الحث على الزكاة وترغيب في إخراجها[4].وَاللَّهُ واسِعٌ، أي واسع الفضل لتلك الأضعاف، عَلِيمٌ بما ينفقون وبما نووا فيها فإن الله (عز وجل) شبه المتصدق بالزارع وشبه الصدقة بالبذر فيعطيه الله بكل صدقة سبعمائة حسنة ثم قال(وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ) أي يزيد على سبع مائة لمن يشاء؛ فيكون المتصدق كمثل الزارع إذا كان الزارع حاذقاً في عمله ويكون البذر جيداً ووفيراً، وتكون الأرض عامرة في خيرها ويكون الزرع مخصباً طيباً فكذلك المتصدق، إذا كان

(1) ينظر : الحجاج أخره ومنطلقاته وتقنياته ضمن كتاب (اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية) : ٣٣٦ .

(2) ينظر: تاريخ البلاغة العربية :15

(3) سورة البقرة : 261.

(4) ينظر:مسند الإمام الشافعي: 220

صالحاً والمال طيباً ويوضع في موضعه فيصير الثواب أكثر[1]. فشبه الله سبحانه نفقة المنفق في سبيله سواء كان المراد به الجهاد أو جميع سبل الخير بمن بذر بذرا فأنبتت كل حبة سبع سنابل اشتملت كل سنبلة على مائة حبة. بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه، ونفع نفقته وقدرها. فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص، والتثبيت عند النفقة، وهو إخراج المال بقلب ثابت، وخرج من قلبه قبل خروجه من يده، فهو ثابت القلب عند إخراجه[2] . ونسب الإنبات إلى الحبة على سبيل المجاز ، إذ كانت سبباً للإنبات . كما نسب ذلك إلى الماء الأرض والمنبت هو الله ، والمعنى : أن الحبة خرج منها ساق تشعب منه سبع شعب في كل شعبة سنبلة وفي كل سنبلة مائة حبة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها ماثلة بين عين الناظر[3]

أتى التشبيه الحجاجي في هذا الموضع لتعظيم الهبة الربانية فهو تبارك وتعالى مع ما يمنحه من أسس للزراعة والانبات يضاعف لمن يشاء من عبادة وهذه المضاعفة في حقيقتها مضاعفة أيضاً الحسنات نفسها والتي تحصل عليها العبد بوساطة أعماله الصالحة.

وكذلك قوله تعالى(**وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ**)[4]. فقال بعضهم إنّ الهدى هدى الله اعتراضٌ به في وسط الكلام خبرًا من الله عن أن البيان بيانُه والهدى هُداه وسائرُ الكلام بعدَ ذلك متصلٌ بالكلام الأول فمعنى الكلام عندهم ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم، أو أنْ يحاجُّوكم عند ربكم أي ولا تؤمنوا أن يحاجّكم أحدٌ عند ربكم. ثم قال الله (عز وجل) لنبيه (صلى الله عليه وسلم) : قل يا محمد "إن الفضل بيد

(1) ينظر: تفسير السمرقندي = بحر العلوم : 1/ 175.

(2) ينظر:تفسير القرآن الكريم : 152.

(3) ينظر:البحر المحيط :١/٦٠٣

(4) سورة آل عمران: 73.

الله يؤتيه من يشاء" وإن الهدى هدى الله[1]. وقال آخرون في تفسير هذه الآية "أو يحاجوكم"، مردود على قوله: "ولا تؤمنوا إلا لمن تَبع دينكم" وتأويل الكلام على قول أهل هذه المقالة ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، فتتركوا الحقَّ: أنّ يحاجُّوكم به عند ربكم من اتبعتمَّ دينه فاخترتموه ، وأنكم تجدون نعته في كتابكم. فيكون حينئذ قوله:" أو يحاجوكم" مردودًا على جواب نهي متروك، على قول هؤلاء. وبعضهم قال في هذه الآية لا تجعلوا تصديقكم النبي في شيء مما جاءَكم به إلا لليهود، فإنكم إن قلتمَّ ذلك للمشركين كان عوناً لهم على تصديقه وقال أهل اللغة وغيرهم من أهل التفسير: ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتمَّ إلا لمن تبع دينكم، أي لا تصدقوا أن يعطى أحد من علم النبي – صلى الله عليه وسلم – مثل ما أعطيتمَّ ومعنى (أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ). أي ليس يكون لأحد حجة عند الله في الإيمان به لعلم من عنده. إلا من كان مثلكم[2]. ففي قوله قُلْ (إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ) قولان.

أحدهما: أنّ الهدى إلى الخير والدلالة على الله بيد الله (جلّ وعزّ) يؤتيه أنبياءه فلا تنكروا أن يؤتى أحد سواكم مثل ما أوتيتم، فإن أنكروا ذلك فقل إنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والآخر: قل إنّ الهدى هدى الله الذي أتاه المؤمنين من التصديق بمحمد (صلّى الله عليه وسلّم) لا غيره أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتمَّ من البراهين والحجج والأخبار بما في كتبهم أو يحاجّوكم عند ربكم[3]

فهداية الرب لعبده هبه ربانية جاءت عن طريق التشبيه فتصديق النبي بما جاء به من آيات بينات هو الفوز والمطلوب ولا يتحقق ذلك بدون اتباع الرسول والامتثال لأوامر السماء وتجنب المعاصي.

(1) ينظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦/ 512.

(2) ينظر:معاني القرآن وإعرابه : 1 / 430

(3) ينظر:إعراب القرآن : ١/ ١٦٥.

ومن أمثلة التشبيه أيضاً ما جاء في قوله تعالى(**فلمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ**[1])(. فعندما طلب نبي الله سليمان أن ينكّرون عرش بلقيس فقال لها أهكذا عرشك , فجاء التشبيه في قولها عندما فقالت (كَأَنَّهُ هُوَ) فشبهته به وكانت قد تركته خلفها في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها فلم تُقِرَّ بذلك ولم تُنْكِر، فعلم سليمان –عليه السلام– كمال عقلها، ثُمَ قالت لقد تركته في مملكتي وتركت الجنود محيطه به فكيف جاء إلى هنا، وهذا من فطنتها وغزارة فهمها، لأنها استبعدت أن يكون عرشها لأنها خلفته وراءها بأرض اليمن، ولم تكن تعلم أن أحدًا يقدر على هذا الصنع العجيب الغريب[2]. واختلف في سبب قولها ذلك ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها: لأنها خلفته وراءها فوجدته أمامها فكان معرفتها له تمنع من إنكاره وتركها له وراءها يمنع إثباته.

والثاني: لأنها وجدت فيه ما تعرفه فلذلك لم تنكره ووجدت فيه ما بُدِّل وغير؛ فلذلك لم تثبته .

والثالث: شبهوا عليها حين قالوا: أهكذا عرشك فشبهت عليهم فقالت: كأنه هو ولو قالوا لها: هذا عرشك لقالت: نعم[3]. فالهبة الربانية التي أشارت إليها الآية هي هبة التعقل التي كانت عليها بلقيس في شبهت العرش ولم تقل أنه هو خوفاً من التكذيب في مجلس الملوك وأمام الناس فلم تحسم الأمر وقالت كأنه هو ، فضلاً عن أن التشبيه أتى بصفه أخرى أنها دلالة عظمة ملك سليمان ومقدرته فهو أتى بعرشها من بلاد اليمن وقد تركته تحت حراسة الجبابرة ولكن اتيانه وكأنها تقول وكيف أتى هذا العرش من مكانه وماهي العظمة التي انت به، فلم تكن على درجة من التصديق بهذه المقدرة الا بعد أن دخلت إلى الصرح الممرد بالقوارير.

(1) سورة النمل: 42.

(2) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٢٠/ 272.

(3) ينظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون : 4/ 215.

ومن التشبيه ما ورد في قوله تعالى من سورة النمل(**يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ**) [1] .

فالتشبيه في قوله (كأنها جان) فالعصا هي المشبه والكاف هي أداة التشبه به , والجان هي المشبّه أذ شبّه العصا بالحيّة , فالجان هي الحية التي ليست بالعظيمة ولا الصغيرة, فالحيات أجناس فيها الجان وغيرها كلأفعى والحفّاث ومجازها كأنها جان من الحيّات ومجاز الأخرى (فإذا هي حيّة من الجان). فوَلَّى مُدْبِراً من الخوف من الحية وَلَمْ يُعَقِّبْ يعني ولم يرجع يقول الله (عز وجل) يا مُوسى لا تَخَفْ من الحية إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ يعنى عندي الْمُرْسَلُونَ[2]. فبلاغة القرآن حين يشبه محسوساً بمحسوس يرمى أحياناً إلى رسم الصورة كما تحس بها النفس، تجد ذلك في قوله سبحانه يصف سفينة نوح (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ)[3] ألا ترى الجبال تصور للعين هذه الأمواج الضخمة، وتصور في الوقت نفسه، ما كان يحس به ركاب هذه السفينة وهم يشاهدون هذه الأمواج رهبة وجلال معا، كما يحس بهما من يقف أمام شامخ الجبال. وقوله تعالى يصف الجبال يوم القيامة (وَتَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ)[4]. فالعهن المنفوش يصور أمامك منظر هذه الجبال وقد صارت هشة لا تتماسك أجزاؤها، ويحمل إلى نفسك معنى خفتها ولينها. فنجد أن تشبيهات القرآن وتماسكها وقوّتها قد يجعل من التشبيه أداة فعالة للتصور وتخيّل المواقف والغرض من التشبيه هو الوضوح والتأثير، ذلك أن المتفنن يدرك ما بين الأشياء من صلات يمكن أن يستعين بها في توضيح شعوره، فهو يلمح وضاءة ونورا في شيء ما، فيضعه بجانب آخر فهو مصباح يوضح هذا الإحساس الوجداني، ويستطيع أن ينقله إلى السامع بصورة فنية. فالقرآن قد

(1) سورة النمل : 10.

(2) ينظر:تفسير مقاتل بن سليمان : 3 / 273.

(3) سورة هود : 42.

(4) سورة القارعة: 5.

شبه نساء الجنة(كَأَنَّهُنَّ الْياقُوتُ وَالْمَرْجانُ)[1]. فليس في الياقوت والمرجان واللؤلؤ المكنون لون فحسب، وإنما هو لون صاف حيّ فيه نقاء وهدوء، وهى أحجار كريمة تصان ويحرص عليها، وللنساء نصيبهن من الصيانة والحرص، وهن يتخذن من تلك الحجارة زينتهن، فقربت بذلك الصلة واشتد الارتباط وهكذا لا تجد الحس وحده هو الرابط والجامع، وحينا يجمع بين الطرفين المحسوسين معنى من المعاني لا يدرك بإحدى الحواس، وكل ذلك في القرآن الكريم الذى يعتمد في التأثير أكثر اعتماد على حاسة البصر وليس في القرآن سوى هذين اللونين من التشبيه هو تشبيه المحسوس بالمحسوس والثاني تشبيه المعقول بالمحسوس [2] .

مما تقدم ذكره من آيات ربانية توشحت بالهبات والعطايا وأتى التشبيه عم طريقها نلاحظ أن هذا الأسلوب حقق دورة مواضع إقناع وحجاج وأسهم في اتساع الأفق الدلالي للمعاني وأسهم في تحقيق الاقناع فالهبة الربانية في مدارها هنالك تلميح للقوة والعظمة التي يتمتع بها الرب والتي تبرز بعضها عن طريق بيان ما يهب لعباده ولغيرهم.

(1) سورة الرحمن: 58.

(2) ينظر: من بلاغة القرآن : 149.

المبحث الثاني:

الاستعارة الحجاجية :

والاستعارة في اللغة تعني " مشتق من (العارية)، وتعني: نقل الشيء من شخص إلى آخر، حتى تصبح هذه العارية من خصائص المُعار له"[1]، وذكر ابن منظور في لسان العرب أن "العارة، والعارية: ما تداولوه بينهم، وقد أعارة الشيء وعاوره إياه وأعاره منه، والتعاور والمعاورة شبه المداولة، والتداول في الشيء يكون بين اثنين... واستعار: أي طلب العارية، واستعار الشيء واستعار منه: أي طلب منه أن يُعيره إياه"[2]. ومن قولهم، استعار المال: إذا طلبه عارية.

وفي الاصطلاح كان أول من وضع تعريفا للاستعارة هو الجاحظ فقال: "الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[3] ومن تعريفاتها أيضاً هي "استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة (المشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع (قرينة) صارفه عن إرادة المعنى الأصلي (والاستعارة) ليست إلى (تشبيهاً) مختصراً، لكنها أبلغ منه"[4]. وعرفها الخطيب القزويني بقوله إن "الاستعارة هي ما كانت له علاقته تشبه معناه بما وضع له" وقد عرفها البلاغيون المتأخرون تعريفا جامعا مانعا فقالوا: الاستعارة هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي ، وهذا التعريف هو ما عليه جميع أهل الذكر الآن. وبعض أهل العلم يختصرون تعريفها فيقولون إن "الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه"[5].

(1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها:١/ 136 .

(2) لسان العرب مادة (عور) : 9 / 29 .

(3) الموسوعة القرآنية المتخصصة : ١/ 531.

(4) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: 258.

(5) ينظر: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة : 19.

وعلى هذا يصح أن يقال استعار إنسان من آخر شيئا، بمعنى أن الشيء المستعار قد انتقل من يد المعير إلى المستعير للانتفاع به. ومن ذلك يفهم ضمنا أن عملية الاستعارة لا تتمَّ إلا بين متعارفين تجمع بينهما صلة ما. فالأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا إذ لا يعرفه حتى يستعير منه. وهذا الحكم جار في استعارة [1]

وتعد الاستعارة من موضوعات علم البيان التي تضفي على الأسلوب الأدبي جمالية ورونقاً، وتسعى إلى خلق صورة فنية متميزة عن طريق تشكيلها وبنيتها، فهي اتحاد وامتزاج وتقريب بين مجموعة عوالم مختلفة، وليس بالاعتماد على التمييز والمقارنة، لأنها كما تقول بشري موسى صالح: "وسيلة يجمع الذهن بواسطتها أشياء متنوعة لم توجد بينها علاقة من قبل، وذلك من أجل التأثير في الدوافع والمواقف، وينتج هذا التأثير عن جمع هذه الأشياء التي تنشئها الذهن بينها"[2]

ولا شك أن الاستعارة قد مرت عبر الأزمنة والعصور المختلفة بعدة دراسات بينما كانت في القديم مثل غيرها من علوم البلاغة العربية التي تناثرت في ثنايا المصنفات والبحوث الأدبية والبلاغية، واختلفت وجهات النظر حولها فكل دارس تناولها من زاوية ما

(2) ينظر:علم البيان : 167.

(3) الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث: 36 .

ومن الاستعارة في آيات الهبات الربانية قوله تعالى : (الَّذِينَ **آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**).[1]

فقد استعار للكتاب الإتيان فجعله شيئا يُؤتى على سبيل المجاز، فالاستعارة هنا مكنية لأنه حذف المشبه به ودل عليه بشيء من معناه، وهو الإتيان: و (الذين آتيناهم الكتاب) هم مؤمنو أهل الكتاب، (يتلونه حق تلاوته) لا يحرفونه، ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (أولئك يؤمنون به) بكتابهم دون المحرفين، (ومن يكفر به) من المحرفين (فأولئك هم الخاسرون)"[2]. وظاهر الحجاج البياني في الآية الكريمة هنا هو أن الاستعارة دلت بشكل قطعي على وصوله إليهم، بما لا يدع مجالا للشك أن يقولو لم يأتهم من نذير ولا كتاب. فالآية المباركة كما يذكر نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر ابن أبي طالب وكانوا اثنين وثلاثين من أهل الحبشة وثمانية من رهبان الشام .... وقد آمنوا بالكتاب _ على اختلاف اسمه _ فيراعون لفظه عن التحريف ؛ وبالتدبر في معانيه [3] . والعمل بما فيه [4] . الكتاب هنا هبة ربانية وتشمل في مفانها كل مانزل على لسبطية من أحكام وتوجيهات وصحف وألواح وآيات مهما كان سبيل تداولها قد وضعت في مجال التشخيص كأنها لشي حي امزي لهؤلاء القوم ليومنوا به ولينشروا أشعة أحكامه الذهنية على أعتاب السبطة.

ومن أمثلة الاستعارة ما جاء في قوله تعالى(**وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ**)[5] أي أنشأنا لكم شجرة في طور سيناء، ثم الشجرة التي تكون في الجبال لا صنع للخلق في إنباتها، وما يكون في الجنان والبساتين إنما يكون بإنبات الخلق، ثم أضاف كليهما ما يكون للخلق فيه صنع وما لا يكون؛ دل إضافة ذلك إليه كله على أن لله في فعل العباد صنعا،

(1) سورة البقرة: 121 .

(2) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 94 .

(3) ينظر: البحر المحيط :٥٦٩/١

(4) ينظر:تفسير أبي السعود :١٥٤/١

(5) سورة المؤمنون: ٢٠

وأن جميع ما يكون إنما يكون بصنع منه ولطف، ويذكرهم نعمه التي أنعمها عليهم من إنشاء الجنان لهم، والنخيل والأعناب والفواكه التي ذكر ليتأدى بذلك شكره[1]

قال تعالى وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء ويعني بها شجرة الزيتون وقوله: (تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ) يقول تخرج من جبل ينبت الأشجار. وقد بيَّنت معنى الطور فيما مضى بشواهده . وفيه دلالة قدرته وسلطانه؛ أذ أنشأ الشجرة، وأخرجها من الجبل، وهو أشد الأشياء وأصلبها، وجعل في تلك الشجرة الدهن، وهو ألين الأشياء وألطفها؛ فيخبر أن من قدر على إخراج ألين الأشياء من أشدها وأصلبها لا يعجزه شيء. وفيه أن لا بأس بقران شيء إلى شيء، فهو كان جميعًا وضم بعضهم بعضه إلى بعض، ويجمع في الأكل حيث قال: (تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ) هو الإدام. ثم اختلف في قوله: (طُورِ سَيْنَاءَ) فمنهم من قال أن الطور هو الجبل وما ذكر، والسيناء الشجرة الحسناء. والطور: هو الجبل الذي كلم الله موسى وأوحى إليه، والشجرة هي شجرة الزيتونة [2] . وقصصت هذه الشجرة من بين الأشجار لاستغلالها بمنافع معروفه ، قيل انها أول شجرة تنبت بعد الطوفان وتنبت الدهن صفه أخرى للشجرة فهي تبين مثلية فيه[3]

ومن أمثلة الاستعارة ما جاء في قوله تعالى **(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا, إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا , فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا , ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا , نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى , وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ**

(1) ينظر:ا لتحرير والتنوير: ٢٥/١٨

(2) ينظر: تفسير الماتريدي :7 / 461.

(3) ينظر: تفسير أبي سعود : ٦/ ١٢٨ .

إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) [1] .

فبعد محاورة نفس الإنسان مع خالقها ، عن طريق الدعاء مهدت لظهور الاستعارة في الآيات التي تلت آية الدعاء فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ يقصد به منعناهم الإحساس بآذانهم من غير صمم . فكأن الاستعارة قصدت إلى هذا التصوير السمعي فيعني جل ثناؤه بقوله (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ) فهي استعارة فقوله تعالى فضربنا على آذانهم بالنوم في الكهف أي ألقينا عليهم النوم، كما يقول القائل لآخر ضربك الله بالفالج، بمعنى ابتلاه الله به، وأرسله عليه. وقوله: (سِنِينَ عَدَدًا) يعني سنين معدودة، ونصب العدد بقوله (فَضَرَبْنَا) . ثم بعثنا هؤلاء الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عددا من رقدتهم، لينظر عبادي فيعلموا بالبحث، أيُّ الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر مبلغ مكث الفتية في كهفهم رقودا أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا) يقول: أصوب لقدر لبثهم فيه أمدا، ويعني بالأمد: الغاية[2]. ومنهم من قال أن معنى (ضربنا على آذانهم) منعْناهم أن يسمعوا؛ لأن النائم إذا سمع انتبه. فالمعنى أنمناهم، ومنعناهم السمعِ[3]. وقال بعضهم أن معنى ضربنا على آذانهم أي أمتناهم، ومنعناهم الإدراك، ويقال في الجارحة إذا أبطلتها ضربت عليها، وفي الممنوع عن التصرف في شيء ضربت على يده، ومعنى تزاور، وتزور تنحرف عنهم، أي تطلع على كهفهم ذات اليمين ولا تصيبهم، والعرب تقول قرضته ذات اليمين، وقرضته ذات الشمال، وقرضته قبلا وقرضته دبرا، وحذوته ذات اليمين وذات الشمال، أي كنت بحذائه من كلّ ناحية، وأصل القرض القطع أي تعدل عنهم وتتركهم.[4]فوهبهم الله جل وعلا الحفظ والمنعة من أن يقعوا في يد اعدائهم بل حفظهم في كهف وهم نيام تزاور عليهم الشمس ذات اليمين وذات الشمال ليكونوا أية للعالمين ولحيفظوا بايمانهم كل ذلك هم في رعاية الرب الوهاب

(1) سورة الكهف: 9-14.

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٧/ 613.

(3) ينظر:معاني القرآن وإعرابه : 3 / 271.

(4) ينظر:الأزمنة والأمكنة: 29.

المنان الذي انجاهم بقدرته ورحمته ، فضلاً عن الهبة الربانية التي برزت بوساطة الاستعارة تبرز فيها ملامح القوة والعظمة والاستطاعة التي بيد الرب فهو القادر على ما يشاء ،

ومن الاستعارة أيضاً في قوله تعالى **(ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا)** فقوله عز وجل (ثم بعثناهم) فهي استعارة عن الإيقاظ فبعثناهم يعني أيقظناهم, قال تعالى ثم بعثنا هؤلاء الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عددا من رقدتهم، لينظر عبادي فيعلموا بالبحث، أيُّ الطائفتين اللتين اختلفتا وأراد بالحزبين المؤمنين والكافرين وكان قد وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في ويعني بالأمد الغاية[1]

ومن الاستعارة أيضاً ما جاء في قوله تعالى **(وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ)** أي صيّرناهم وألهمناهم الصبر ، وشددنا قلوبهم بنور الإيمان حتى عزفت أنفسهم عما كانوا عليه من خفض العيش. فربطنا على قلوبهم بالإيمان. ويعني لم يشركوا بي كما أشركتمَّ بي ما ليس لكم به علم[2]. ومن قول بعض المفسرين في قوله عز وجل: وَرَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ، أي حفظنا قلوبهم على الإيمان وألهمناهم الصبر حتى ثبتوا على دينهم. إِذْ قامُوا من نومهم ويقال قاموا بإثبات الحجة، ويقال خرجوا من عند الملك. فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً، أي لم نقل من دون الله ربا وإن فعلنا لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً، أي كذباً وجوراً. ويقال: شَطَطاً، أي علواً، يقال: قد أشط إذا علا في القول، أي جاوز الحد[3]. فالكلمات (ضربنا، بعثنا ، ربطنا ، شططا) كلها استعارات تحمل في جوهرها طاقة حجاجية لتحقيق الفاعلية الإقناعية .

(1) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ١٧/ 55 .

(2) ينظر:السيرة النبوية لابن هشام : 1/ 304.

(3) ينظر: تفسير السمرقندي = بحر العلوم :٢/ 340.

ومن أمثلة الاستعارة في القرآن الكريم ماجاء في قوله تعالى (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ **أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ**)[1]. يعني يستبشر بها الناس رجاء المطر وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ يقول وليعطيكم من نعمته يعني المطر أو الغيث ويحتمل وجهاً ثانياً بخصب الزمان وصحة الأبدان. فكل ما ذكر في القرآن من الرياح فهو رحمة فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات فقوله (وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ) فيه تأويلان أحدهما بردها وطيبها والثاني هو المطر[2]وقيل " هي المنافع النابعة للمطر وقيل : الخصب النابع لنزول المطر المسبب عنها أو الروح الذي هومع هبوبها" [3]والارسال مستعار ايضاً لتقدير الوصول اي تقدير تكون الرياح ونظامها الذي يوجهها إلى بلد محتاج المطر، والمثيرات المؤذنة بالخير وهو المطر[4]

تجمع الهبات الربانية على سبيل الاستعارة في الآية المباركة في هبتان إرسال الرياح وانزال المطر ليذيق الناس من رحمته لما لها من منافع وعطايا لا يمكن احصائها وعدها فهي من أساسيات الحياة ومن أهم سبل ديمومتها كما أنها من أهم أسباب تحصيلها ، واجتماع هذه الاستعارات في هذه الآية المباركة خلقت هاله حجاجية وطاقة دالة على عظيم قدرة الله تبارك وتعالى في التحكم بكل شي وبكل شارده وواردة تخص خلقه فهو يحقق الأسباب لانماء الحياة وسيرورتها .

ومن الاستعارة أيضاً ما جاء في قوله تعالى (وَءَايَة **لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ**) [5]يقال سلخت الشيء من الشيء أي أزلته منه وخلصته حتى لم يبق منه شيء فإذا هم مظلمون أي داخلون في الإظلام وعلامة أيضاً لهم على قدرة الله وتوحيده الليل ينزع منه

(1) سورة الروم : 46.

(2) ينظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون : 4/ 319.

(3) تفسير أبي سعود :٦٣/٦

(4) ينظر:التحرير والتنوير :٧٢/٢١

(5) سورة يس: 37.

ضياء النهار. (وَمِنْ) هنا بمعنى (عن)، أي ينزع عنه ضياء النهار[1] . فكأن الليل كان مجلداً ومغلفاً بالنهار، والليل أسود، والنهار فيه الضوء، ونعلم أن اللون الأسود ليس من ألوان الطيف، وكذلك اللون الأبيض ليس من ألوان الطيف واللون الأسود يأخذ ألوان الطيف ويجعلها غير مرئية، لأنك لا ترى الأشياء إلا إذا جاءت لك منها أشعة لعينيك، واللون الأسود يمتص كل الأشعة التي تأتي عليه فلا يرتد إلى العين شعاع منها فتراه مظلماً والأبيض هو مزيج من ألوان متعددة إن مزجتها مع بعضها يمكنك أن تصنع منها اللون الأبيض، وهكذا نعلم أن الأبيض مثله مثل الأسود تماماً، فالأسود يمتص الأشعة فلا يخرج منه شعاع لعينيك، والأبيض يرد الأشعة ولا يخرج منه شعاع لعينيك. وقوله الحق (نَسْلَخُ مِنْهُ النهار) كأن سواد الليل جاء يغلف بياض النهار. وإذا انسلخ من آتاه خبر الإيمان عن المنهج يقول الشيطان: إنه يصلح لأن يتبعني، وكأن الشيطان حين يجد واحداً فيه أمل، فهو يجري وراءه مخافة أن يرجع إلى ما أتاه الله من الكتاب الحامل للمنهج، ويزكي الشيطان في نفس هذا الإنسان مسألة الخروج عن منهج ربنا[2]

فالليل والنهار هبتان ربانيتان عظيمتان وعطايا وسنن كونية أبانت قدرة الله في نفع خلقه فهو يمهد لهم أسباب عيشهم ويحقق لهم السبل في جعله ممكناً محققاً .

أسهمت الاستعارة عند ورودها في آيات الهبات الربانية في بيان قدرة الله تبارك وتعالى في إنماء الخيرات لعباده وتذليل الصعاب لهم فضلاً عن ترغيبهم بالخيرات ومضاعفها لهم كما أنها أسهمت في اتساع الأفق الدلالي للنص وبناء مشاهد حية وكأننا في محاكاة قصة أو مشهد مسرحي شخوصه ماثلة أمامنا تحرك بقدرة خالق عظيم لتحقيق منافع عظيمة لعباده .

(1) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره :9/ 6033.

(2) ينظر:تفسير الشعراوي – الخواطر: ٧/ 4456 .

المبحث الثالث: المجاز الحجاجي :

المجاز هو فن من فنون التصوير البياني _ الحقيقة_ والمجاز ، وللعلماء أراء متباينة ومتضاربة فمنهم من يرى أن الكلام كله حقيقة ، وأن اللفظ مهما استعمل في التعبير عن أشياء أنما هو موضوع لكل هذه الأشياء ومن العلماء من يذهب إلى أن اللغة كلها مجاز وأن ما نظنه حقيقة في الشي . انما بكثرة الاستعمال[1] .

وعلى الرغم مما امتازت به أمة العرب من بلاغة وإمكانيات لغوية فاقت ما حولها من اللغات المحيطة ، ولكن القرآن الكريم تحداهم بأفضل ما يمتلكون . فكان ذلك هو الاعجاز القرآني ، والمجاز صفه يتمتع بها الخطاب العربي[2]. ويعرفه الجرجاني بأنه : " كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والاول ، فهو مجاز ...."[3]

ومعنى ذلك أن المجاز : لفظ يأتي به المتكلم ويزيد به غير معناه لملاحظة بين اللفظ الموضوع والمعنى المراد ، فهو فن اصيل في لغة العرب ؛ إذ يخرج المعنى متصف بصفه حسية تكاد تعرضه على عيان السامع[4] . وكان سر استعمال العرب للمجاز هو ميلهم إلى الاتساع في الكلام وتكثير معاني الألفاظ ليكثر الالتذاذ بها ؛ لان المجاز كان عندهم منهلاً مورداً عذب الارتشاف ، وسبيلاً مسلوكاً واضح المعالم ..... ولذلك كثر في كلامهم وصار أكثر استعمالا من الحقائق[5] .

(1) ينظر : بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية: ١٠٤_ ١٠٥

(2) ينظر : أساليب البيان في القرآن الكريم : ٣٨٩ .

(3) اسرار البلاغة : ٣٥١ .

(4) ينظر : جواهر البلاغة : ٢٤٩..

(5) ينظر : أساليب البيان في القرآن الكريم : ٣٨٩ .

وتعددت وظائف المجاز فهو يعطي الوضوح والمتعة ثم يضفى الطابع الغريب[1] . وكذلك ينتقل بالصيغة من وضعها الاول ودلالتها الاولى إلى دلالة أخرى[2] ، فالأسلوب المجازي يحمل من وسائل الاقناع والبرهان ما يوجب التأثير والانفعال . فالحجاج " كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصه يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها "[3] وهذا يعيدنا إلى تعريف طه عبد الرحمن للحجاج المذكور آنفاً ، وهو هنا يجعل العلاقة بالمجاز في كفة واحدة مع الحجاج ؛ وذلك لأن المجاز يوصل المتلقي إلى الغاية الاقناعية ، " فلا حجاج بغير مجاز "[4].

ومن المواضع التي ورد فيها المجاز في آيات الهبات الربانية ما جاء في قوله تعالى **(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيم)**[5] .

فقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) فاستثناء ما حرَّم علينا مما دخل في جملة ما قبل الاستثناء، أشبهُ من استثناء ما حرَّم مما لم يدخل في جملة ما قبل الاستثناء. وقوله (وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِه) فمجازه وما أهلّ به لغير الله أي ما ذكر غير اسم الله عليه إذا ذبح أو نحر، وهى من استهلال الكلام، و(لْمُنْخَنِقَةُ) التي انخنقت في خناقها حتى ماتت. و(المَوْقُوذَةُ) التي تضرب حتى توقذ فتموت منه أو ترمى يقال رماه بحجر، فوقذه يقذه وقذا ووقوذا.(وَالْمُتَرَدِّيَةُ)

(1) ينظر : الخطابة : ١٩٨.
(2) الاتجاه العقلي في التفسير : ١٠٤ .
(3) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٣١ .
(4) م.ن : ٢٣٢ .
(5) سورة المائدة: 3.

التي تردّت فوقعت في بئر أو وقعت من جبل أو حائط أو نحو ذلك فماتت. و(النَّطِيحَةُ) مجازها مجاز المنطوحة حتى ماتت و (ما أَكلَ السَّبُعُ) وهو الذي يصيده السّبع فيأكل منه ويبقى بعضه ولم يذكّ، وإنما هو فريسة. وقوله تعالى (إِلَّا ما ذَكَّيْتُمْ) وذكاته أن تقطع أوداجه أو تنهر دمه وتذكر اسم الله عليه إذا ذبحته. و(ما ذبح على النصب) والأنصاب: الحجارة التي كانوا يعبدونها، وأنصاب الحرم أعلامه. وبعد ذلك تنتقل الآية إلى قوله تعالى (فمن اضطر في مخمصة) أي مجاعة وهذا الأمر استثنائي فقد حلل ذلك على الجياع من العباد[1]. فهنا تكمن أهمية المجاز القرآني ودوره في تشكيل النص الإبداعي وبنائه فكل الأحكام المسبقة في الاية المباركة جنحت للمجاز لتكثير المعنى بأقل الالفاظ الممكنة حتى يعمل الباث أفقا من الاتساع الدلالي للمفردات وحتى لا يكون للناس حجة في الاقتراب من هذه المحرمات لأن بعضها كانت محللة ولكن لحدوث العوارض الحياتية حرمت وأنتفت صلاحية اكلها فلا بد من أن تطرح ماعدا ما أضطر إليه الإنسان صيانة للنفس أو علاجا للبدن فهنا وضع التكليف بالأكل لسد الرمق لا غير ولحفظ النوع . ومن المجاز ما ورد في قوله عز وجل**(وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ , وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ , وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)**[2]. فالمجاز في قوله (بأيدٍ) فبَنيناها بِأَيْدٍ يعني بقوة وَإِنا لَمُوسِعُونَ يعني نحن قادرون على أن نوسعها كما نريد وَفى الْأَرْضَ آية فَرَشْناها فجاء في كتاب العين (الأَيدِ) أي القُوَّة، والتَّأييدُ: مصدر أيَّدْتُه أي قَوَّيْتُه. وقوله تعالى: وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ أي بقُوّة. وإيادُ كُلِّ شيءٍ ما يُقُوَّى به من جانِبَيْهِ، وهما إِياداه، وإِياد العسكر المَيْمَنةُ والميسَرة [3]. فالمجاز في قوله بنيناها بأيدٍ التي تعني القوة والقدرة [4]. لأنه تبارك وتعالى لا يدخل في الماهيات فهو لا يحل بمكان وليس لديه جارحة ولا يجسم ، فالأيد هي القوة المسلطة التي حققت للخلق مبتغاهم ومطالبهم المختلفة والتي بدونها لفلتت الأمور وانحل زمامها ، وذهبت

(1) ينظر:مجاز القران : ١/ ١٥٣ .
(2) سورة الذاريات: 47-49.
(3) ينظر:كتاب العين : ٨/97.
(4) ينظر: روح البيان: 9/ 171.

كل مخلوقاتها حسب الرغبات والنوازع ولكن قدرة الله البالغة المتحكمة بأبسط الأمور هي التي توقف كل شيء وتقدره في مكانه الخاص .

ومن قوله تعالى(**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**)[1] فقوله تعالى (يُبايِعُونَكَ) أي يعاهدونك، سمّيت المعاهدة بالمبايعة التي هي مبادلة المال بالمال تشبيها لها بالمبايعة في اشتمال كل واحدة منهما على معنى المبادلة لأن المعاهدة أيضا مشتملة على المبادلة بين التزام الثبات في محاربة الكافرين وبين ضمانه عليه السلام لمرضاة الله عنهم وإثابته إياهم بجنّات النعيم في مقابلة محاربة الكافرين وسيأتي مزيد من التفصيل في باب البلاغة. وفي قوله (يد الله فوق أيديهم) فهي استعارة مكنية، شبّه تعالى نفسه بالمبايع وأثبت له ما هو من لوازم المبايع حقيقة وهو اليد على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، وفي إثبات اليد لله تعالى والله منزّه عن الجوارح عن صفات الأجسام لتأكيد معنى المشاكلة[2].

ومن المجاز ما ورد في قوله تعالى(**هوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**)[3] فالمجاز في قوله تعالى (وَالنَّهارَ مُبْصِراً) فإن النهار لا يبصر وإنما يكون مضيئاً للإبصار فيبصر فيه الذي ينظر كما ورد في قوله تعالى (وَالنَّهارَ مُبْصِراً) فمجازه هو مجاز ما كان العمل والفعل فيه لغيره أي يبصر فيه، ألا ترى أن البصر إنما هو في النهار

(1) سورة الفتح: 10.

(2) ينظر :إعراب القرآن وبيانه : 212.

(3) سورة يونس: 67.

والنهار لا يبصر كما أن النوم في الليل ولا ينام الليل فإذا نيم فيه قالوا: ليلة قائم ونهاره صائم[1]. فالقول في تأويل الآية إنّ ربكم أيها الناس الذي استوجب عليكم العبادة، هو الرب الذي جعل لكم الليل وفصله من النهار، لتسكنوا فيه مما كنتمَّ فيه في نهاركم من التَّعب والنَّصب، وتهدئوا فيه من التصرف والحركة للمعاش والعناء الذي كنتمَّ فيه بالنهار, وجَعَل النهار مبصرًا، فأضاف "الإبصار" إلى "النهار"، وإنما يُبْصَر فيه، وليس "النهار" مما يبصر، ولكن لما كان مفهوما في كلام العرب معناه، خاطبهم بما في لغتهم وكلامهم[2].

فالنهار مبصراً يبصر فيه الخلق حتى يحققوا مبتغاهم وليجدوا احتياجاتهم ومطالبهم فلا يكون تحركهم مجتزأ بسب الظلمة او لعائق من وحي الطبية بل قدرت هبات الرب وأتت بحسب نظام كوني مقدر لا يحيد ولا يتزلزل وكله سائر بقدرة الله جل وعلا .

ومن المجاز ما جاء في قوله عز وجل **(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ , تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)**[3]. فقوله (ألم ترَ) هو قول سائر لتشبيه شيء بشيء وكلمة طيبة (وهي قول لا إله إلا الله) كشجرة طيبة (وهي النخلة يريد كشجرة طيبة الثمر من شجر الجنة) أصلها ثابت (في الأرض) وفرعها (أعلاها) في السماء كذلك أصل هذه الكلمة راسخ في قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق ، فإذا تكلم بها عرجت ، فلا تحجب حتى تنتهي إلى الله عز وجل[4]. فمن فوائد المجاز منها أنه غلب في كلام العرب بخلاف الاشتراك، فيلحق المتنازع فيه بالأعم الأغلب. ومنها أنه أبلغ بإطباق البلغاء لأنه كالدعوي، مع البينة نحو فقوله تعالى (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) أين هذا من قولك: شاب رأسي. ومنها أنه يكون أوفق بحسب المقام لعذوبة فيه، أو لثقل الحقيقة وفيه نظر لأن العذوبة، والثقل من أوصاف اللفظ. وأن اللفظ واحد دائر بين كونه مشتركًا بين

(1) ينظر: مجاز القرآن, ج1: 279.

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن, ج15: 144.

(3) سورة إبراهيم: 24-25.

(4) ينظر:الأمثال من الكتاب والسنة : 45.

المعنيين، أو حقيقة في أحدهما، مجازًا في الآخر، فلا يتأتى ما ذكره. ومنها أيضاً أنه يتوصل بحمله على المجاز إلى أنواع من محاسن البديع[1] .

فنجد المجاز في قوله تعالى مثل كلمة الشَّهَادَة من الْمُؤمن (كَمثل شَجَرَة طيبَة أَصْلهَا ثَابت وفرعها فِي السَّمَاء).

ومن قوله تعالى(**وفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ , وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ , تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ , وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**)[2]. فالمجاز في قوله تعالى (وفجرنا الأَرْض عيُونا) أَي فتحنا عُيُون الأَرْض بِالْمَاءِ. وَقَوله(فَالتقى المَاء على أَمر قد قدر) أَي التقى مَاء السَّمَاء وَمَاء الأَرْض على أَمر قد قدر كَونه، وَهُوَ تغريق أهل الأَرْض سوى أَصْحَاب السَّفِينَة. وَيُقَال على أَمر قد قدر هُوَ تَقْدِير المَاء، يَعْنِي أَن المَاء أنزل من السَّمَاء وفجر من الْعُيُون على كيل وَتَقْدِير مَعْلُوم. فإِن الْأَبْوَاب هَاهُنَا بطرِيق الْمجَاز، وَالْمعْنَى: أرسلنَا من السَّمَاء بِمَاء منهمر أَي: كثير. وَقَوله تَعَالَى(وحملناه على ذَات أَلْوَاح ودسر) على السَّفِينَة ذَات أَلْوَاح، ودسر المسامير، وَيُقَال ودسر هي معاريض السَّفِينَة، وَهِي الْخشب الَّتِي تعرض عَلَيْهَا. وَيُقَال: دسر أَي: صدر السَّفِينَة، كَأَنَّهَا قد تدسر المَاء بصدرها، أَي: تدفع. وَقَوله (تجْرِي بأعيننا) فهو تعبير مجازي ويعني بمرأى منا وَحفظ منا. فجَزَاء لمن كَانَ كفر هو جَزَاء على مَا صنع بِمن كفر بِهِ فهل من مدكر يعني هل من متعظ متذكر عذاب الله[3] .

(1) ينظر:الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع :٢/ 82.

(2) سورة القمر: 12-15.

(3) ينظر:تفسير القرآن : 5/ 312.

فإن للمجاز القرآني أهميته في دراسة الظاهرة القرآنية من وجهة نظر نقدية فقوله تعالى **(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)**[1] ففي هذه الصورة يتجلى سطح الصحراء العربية المنبسطة ، والخداع الوهمي للسراب. فنحن هنا أمام عنصر المجاز فأرض الصحراء وسماؤها قد طبعا عليه انعكاسهما، فليس ما نلاحظه مما يتصل بالظاهرة القرآنية التي تشغلنا، سوى ما نجده في الآية من بلاغة، حين تستخدم خداع السراب ، لتؤكد بما تلقيه من ظلال تبدد الوهم الهائل، لدى إنسان مخدوع، ينكشف في نهاية حياته غضب الله الشديد، في موضوع السراب الكاذب وهو سراب الحياة[2]. فإن المجاز في القرآن بأنواعه المختلفة سواء أكان لغوياً أو حكمياً , واللغوي سواء أكان استعارياً أو مرسلاً، يؤدى وظيفة جليلة الخطر في البيان القرآني من التوسع في ضروب التعبير. واستخدام المادة الواحدة سواء اختلفت مشتقاتها أو اتحدت في البنية في معان شتى وأغراض مختلفة ولم يكن لها هذا الاتساع لولا فن المجاز فالمجاز في القرآن يختار الكلمات الوافية بحق المعنى والمصورة تصويراً حسياً للمعاني كاستعارة (الطيبات) للحلال ترغيباً فيه وحثاً عليه، واستعارة (الخبائث) للمحرم تنفيراً عنه وتزهيداً فيه[3].

لقد اسهم المجاز الحجاجي في آيات الهبات الربانية في اتساع الأفق الدلالي للنصوص فضلا عن انه أدى وظيفته بالشكل الأمثل ، فربُّ العزةِ يقدم لعبادهِ بقوتهِ التي تملكت الاولين والآخرين ما حقق لهم سبيلهم وانار لهم الصراط وجعلهم على دراية بحقيقة الأمور وحقيقة استحقاقه للعبادة

(1) سورة النور : 39.

(2) ينظر:الظاهرة القرآنية : 295.

(3) ينظر:خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية :٢/ 397.

والاتباع لا من طريق القوة بل من طريق بيانها في ما وهبهم من هبات وعطايا ، وما انعم عليهم من مخلوقات وضعت هي وغيرها – سواء اكانت حية أو جمادات – لخدمتهم وتحقيق رغباتهم وما يتطلبوه من حاجيات .

المبحث الرابع :

الكناية الحجاجية :

الكناية مصطلح بلاغي لكنها بحثت عند النحويين واللغويين وكذلك البلاغيين لأنها تتعلق بالاضمار[1]. وقد عرفها الجرجاني بقولهِ " هي أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكنه يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه "[2] أو هي " لفظ أريد به معنى غير معناه الحقيقي الذي وضع له ، مع جواز إرادة ذلك المعنى الأصلي ، إذ لا قرينه تمنع هذه الإرادة[3]. ويتضح ذلك أن المتكلم يستعمل لفظاً يحمل معنى مرادفاً للمعنى الأصلي ، ويفهم المعنى الأصلي من الكناية بالعودة إلى معنى اللفظ المطلق في الكلام . فالاسلوب الكنائي هو الدليل لإثبات المعنى وامتاع للجملة. أما التعبير الكنائي فيدل على معنى الخبر عن طريق أثباته بقرينه دالة على المعنى ،وذلك يجعل التعبير الكنائي أكثر فعاليه للتأثير و الامتاع في الحجاج[4]." ولأسلوب الكناية أثره الخاص الذي يميزه عن غيره من أساليب البيان ، وتكمن بلاغة الكناية في كونها تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها ، وتذكر القضية . وفي طياتها برهانها الشاهد عليها ، فهي تمتاز بالاقناع والامتناع ، متى ما جاء المعنى مصحوباً بدليله كان أشد أثراً وتأثيراً ، وأقوى امتاعاً ، واوقع في النفس ، واعلق بالفؤاد ، وأكد للمعنى ، وأشد تأثيراً في النفوس"[5] إذاً فالكتابة هي احتجاج لقضية ما ، ويثبت

(1) ينظر : جمالية الانزياح في القرآن الكريم : ١٥٧

(2) دلائل الاعجاز : ٦٦

(3) ينطر:اساليب البيان في القرآن : ٦٩ .

(4) ينظر:دلائل الاعجاز : ٧٢ .

(5) الكناية والتعريض : ٤٤

هذه الحِجاجية مراد المتكلم من الرمز ، لأن احتجاجها يكون عن طريق الرمز[1] . فتعل المعاني في صور محسوسات ، وتزداد حجاجاً وقوة عن طريق المبالغة ، فهي تقع موقع المؤشر على نفسية المتلقي ، وتعد وسيلة من وسائل تأكيد القصد وتحقيقه[2]

((من يتأمل أسلوب الكِناية في القرآن يدرك أنه فوق طاقة بني الإنسان وذلك لما ينطوي تحته من لطائف وأسرار ، ولايدرك هذا الأمر إلا من تذوق حلاوة القران ، وكان من أهل الفصاحة والبيان))[3] . فالكناية " وسيلة من وسائلِ التأثيرِ والإقناعِ " [4]

ومن أمثلة الكناية في القرآن الكريم في آيات الهبات الربانية ما جاء في قوله تعالى**(فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ)** [5]يعني النساء الحافظات النظر عن الرجال، لا ينظرن إلى أحد غير أزواجهن لأنهن خلقن في الجنة من شجر الجنة يعني لم يطمثهن إنس قبل أهل الجنة، ولا جان يعنى الجن, فقوله تعالى (قاصرات الطرف) فهي كناية عن غض الأبصار, أي غاضات الأبصار عن غير أزواجهن فمن قصر طرفه في الدنيا عن الحرام والشبهات، وعن اللذات وزينتها، أعطاه الله في الجنة قاصرات الطرف، كما وعد[6]. وجاء في التفسير البسيط قوله (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) أي حور ونساء قاصرات الطرف، يعني قصر طرفها على زوجها فلا ترى أن خلقًا أكرم على الله منه ولا أجمل ولا أحسن فإنها لتقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئًا أحسن منك فالحمد لله الذي جعلني زوجك [7] .فهبة النساء اللواتي اقتصر نظرهن على أزواجهن _ ورضين بهم ولا يردن غيرهم ، هبه ربانية مؤجلة للمؤمنين لترغيبهم هم

(1) ينظر : خطاب الحجاج والتداولية : دراسة في نتاج ابن باديس الادبي : ٢٨٨

(2) خطاب الحجاج والتداولية : ٢٩١

(3) ينظر:جمالية الانزياح في القرآن الكريم : ١٦٩

(4) الاسلوب الكنائي نشأته وتطوره بلاغته :٨٧

(5) سورة الرحمن: 56.

(6) ينظر:تفسير التستري : 159.

(7) ينظر:تفسير البَسِيْط : ١٨٨/٢١ .

وغيرهم للإيمان ولبيان ما اشتملته جنة الخلد من عطايا وهبات تنتظر من جاء إلى الرب وهو قد ملأ صحيفته بالخير والعمل الصالح .

ومن الكناية أيضاً ما ورد في قوله عز وجل**(وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَاب بِهِ لَقَادِرُونَ)** [1]يقول تعالى وأنزلنا من السماء ما في الأرض من ماء فأسكناه فيها وإنا على الماء الذي أسكناه في الأرض لقادرون أن نذهب به، فتهلكوا أيها الناس عطشا، وتخرب أرضوكم، فلا تنبت زرعا ولا غرسا، وتهلك مواشيكم فقوله تعالى وإنا على ذهاب به لقادرون فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض إلى السماء فقد أهلها خير الدين والدنيا والآخرة[2].

فأنزل الله من السماء ماءاً فيكون رزقا لكم ولأنعامكم بقدر ما يكفيكم، فلا ينقصه، بحيث لا يكفي الأرض والأشجار، فلا يحصل منه المقصود، ولا يزيده زيادة لا تحتمل، بحيث يتلف المساكن، ولا تعيش معه النباتات والأشجار، بل أنزله وقت الحاجة لنزوله ثم صرفه عند التضرر من دوامه كما جاء بقوله (فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ) أي أنزلناه عليها، فسكن واستقر، وأخرج بقدرة منزله، جميع الأزواج النباتية، وأسكنه أيضا معدا في خزائن الأرض، بحيث لم يذهب نازلا حتى لا يوصل إليه، ولا يبلغ قعره (وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) إما بأن لا ننزله، أو ننزله، فيذهب نازلا لا يوصل إليه، أو لا يوجد منه المقصود منه، وهذا تنبيه منه لعباده أن يشكروه على نعمته، ويقدروا عدمها، ماذا يحصل به من الضرر[3].

(1) سورة المؤمنون: 18.

(2) ينظر:معاني القرآن : 4/ 451.

(3) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 549.

فالماء قد سكن في الأرض على ظهرها وبعضه في بطنها ، ولم نخفي بالذي على ظهرها ، ولم نغور ما في بطنها ليعم نفعه وليسهل الوصول إليه ، وإنا على حالنا من العظمة على ذهابه أي على اذهابه بأنواع الذهاب بكل طريق بالافساد والرفع والتغوير وغير ذلك [1].

فهو تبارك وتعالى صاحب القدرة في الاعطاء والأخذ ولكنه يشير إلى إحدى الهبات والعطايا التي كانت وماتزال ماثلة أمامنا وهي تتمثل بالماء النازل من السماء وما يحققه للعبد والمخلوقات من فوائد وأثر فيه ما يطلبون والحجة هنا إن القدرة التي أنزلت وحفظت وجمعت وحققت الأسباب التي أسهمت بالنعمة القادرة على ذهاب كل شي في طرفة عين .

ومن قوله تعالى **(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ , قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ , الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ)**[2] . فالكناية جاءت في انكار البعث بعد الموت ، فالشجر الأخضر جاء ليدل على قدرة الله تعالى على فعل كل شيء فقوله تعالى (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه) أي قد خلقناه أول مره فكما خلقناه كذلك نعيده فإن الإنسان الذي يقول (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) أنا خلقناه من نطفة فسويناه خلقا سَوِيًّا (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ) يقول تعالى فإذا هو ذو خصومة لربه، يخاصمه فيما قال له ربه إني فاعل، وذلك إخبار لله إياه أنه مُحْيي خلقه بعد مماتهم، فيقول مَنْ يحيي هذه العظام وهي رميم إنكارا منه لقُدرة الله على إحيائها. وقوله (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ) ومثَّل لنا شبها بقوله (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) إذ كان لا يقدر على إحياء ذلك أحد ونسي خَلْقَنا إياه كيف خلقناه، وأنه لم يكن إلا نطفة، فجعلناها خلقا سَوِيًّا ناطقا، فلم يفكر في خلقه، فإن الله

(1) ينظر:تفسير الجلالين : ٣٤٦

(2) سورة يس: 78-80.

خلقه من نطفة من أخلاط متفرقه فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشرا سويا ناطقا متصرفا، لا يعْجِز أن يعيد الأموات أحياء، والعظام الرَّميم بشَرا كهيئتهم التي كانوا بها قبل الفناء، فإن الله تعالى يحييها كما ابتدع خلْقها أول مرة ولم تكن شيئا (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت، وكيف يحيي، وكيف يبدئ، وكيف يعيد، لا يخفي عليه شيء من أمر خلقه[1].وقوله (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) فهي كناية عن النار التي يستعملها الإنسان فكل عودٍ تزند منه النار فهو من شجرة فإن الشجر الأخضر عندما يجف ويصبح يابساً قابلاً للاشتعال, ثم قال تعالى (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ) فالذي يخرج من الشجر الأخضر النار فهو قادر على البعث، ثم ذكر ما هو أعظم خلقا من خلق الإنسان فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السَّمَواتِ والأرض فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم، فكيف يتعذر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمَّت وبلِيَت فهو قادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء، الفعَّال لما يريد[2].

ومن قوله تعالى**(وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا)** [3]وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاء يعني بالمطر معاشاً للخلق من الثمار والحبوب وغير ذلك. فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً فالنبات الأخضر وهو أول ما يخرج , يخبر الله عز وجل أنه خالق كل شيء خالق جميع ما في الدنيا من الأنزال والحبوب ويخبر عن لطفه وصنعه بما يخرج من الحب متراكبًا بعضه على بعض، ما لو اجتمع الخلائق كلها لم يقدروا على تركيب مثله؛ ليعلموا أن لغير في ذلك تدبيرا وصنعا. وفيه دلالة أنه قد ينشئ الأشياء من لا شيء

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ,ج20: 555.

(2) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان : ٣/ 586.

(3) سورة الأنعام : 99.

ولا سبب، وإن كان قد أنشأ بعضها بأسباب؛ فإنه أخرج من الحبة والنواة نباتا أخضر، ولم يكن في الحب نبات ثم أخرج، من ذلك النبات الأخضر حبوبًا، ولم تكن الحبوب في النبات

ليعلموا أنه قادر على إنشاء الأشياء لا من شيء ولا سبب[1]. فقوله عز وجل (نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِباً) يعني السنبلة قد ركب بعضها بعضاً. في المنظر، وغير متشابه في الطعم بعضها حلو وبعضها حامض كالحنطة والذرة والشعير [2]. واعلموا أن له خالقاً فهو قادر على أن يحييكم بعد الموت، كما أخرج من الأرض اليابسة النبات الأخضر ومن الشجرة الثمار. وكذلك قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِير) [3]فالمعنى هذا خبر واجب و {أَلَمْ تَرَ} إِنَّمَا هُوَ انتبه وَانْظُر أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا[4] ومن قوله (تصبح الأرض مخضرة) هو استخراج النبات من الأرض بذلك الماء وغير ذلك من ابتداع ما شاء أن يبتدعه (خَبِيرٌ) بما يحدث عن ذلك النبت من الحبّ فإن الله يخبر عن قدرته وسلطانه أن من قدرته إنزال الماء من السماء وشق الأرض، وإخراج النبات منها مع لينه وضعفه وصلابة الأرض وشدتها قادر على إحياء الخلق بعد الموت، ولا يحتمل أن يعجزه شيء.

ومنهم من ذكر في قوله أن المراد هو معرفة الحقيقة لأن الماء النازل من السماء يرى بالعين واخضرار النبات مرئي فإن حمل الكلام على حقيقته أولى فإن معنى (ألم) استفهام تقرير ولذلك رفع فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً عطف على أَنْزَلَ إذ لو نصب جواباً لدل على نفي الاخضرار كما في قولك ألم تر أني جئتك فتكرمني، والمقصود إثباته وإنما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان. إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ يصل علمه أو لطفه إلى كل ما جل ودق.

(1) ينظر: تفسير الماتريدي : 4/ 187.

(2) ينظر: لباب التفاسير : 311.

(3) سورة الأنعام : 99.

(4) ينظر:المقتضب :2/ 20.

خَبِيرٌ بالتدابير الظاهرة والباطنة[1] . فالماء هبة الرب على أرضه أخرج كل صنف من أصناف النبات المختلف في شكله وخواصه وآثاره اختلافاً متفاوتاً في مراتب الزيادة والنقصان ، فهو تبارك وتعالى وهب فاجزل وازاد على عباده فأفاض وكل هذا دليل على القدرة الربانية والتقدير الذي يذهب بعبادة إلى درجة التقديم والافاضة ليريهم آياته ويبين عليهم نعمته وقدرته على العطاء والأخذ والاكرام والتقدير وكل ذلك حتى يؤمن العبد بوجود قوة خاصه متحكمة في كل شي .

ومن الكناية ما جاء في قوله تعالى(**لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ , ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ , إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**)[2] فجاءت الكناية في قوله تعالى (في أحسن تقويم) أي صورة الإنسان الحسنة وجعل الإنسان ذا قوام وتناسب أجزاء الإنسان بعضها مع بعض فالآية الكريمة تريد أن تبيّن أن صورة الإنسان بشكل عام هي صورة حسنة وأن هذا النوع من الكائنات يمتلك أحسن صورة بالنسبة لسائر المخلوقات وفي هذه السورة استثناء للذين لا ينزلقون في دائرة السافلين وهو قوله (في أحسن تقويم) يعني أعدل وأحسن خلق لنبلغ بالإنسان أحسن تقويمه واعتداله واستواء شبابه، وهو أحسن ما يكون أي في أحسن صورة[3]، ثُم نرده بعد ذَلِكَ إلى أرذل العمر، وهو وإن كَانَ واحدًا، فإنه يراد بِهِ نفعل ذا بكثير من الناس، كما جاء بقوله)ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ(أي إلى أرذل العمر فيقول تعالى فإذا بلغ المؤمن أرذل العمر وكان يعمل في شبابه عملاً صالحاً كتب الله له من الأجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه ولم يضره ما كان يعمل في كبره، ولم تكتب عليه الخطايا التي يعمل

(1) ينظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤/ 77.

(2) سورة التين: 4-6.

(3) ينظر:تفسير مجاهد,: 369.

بعد ما يعمل أرذل فنقلناه من حال إلى حال حتى أدركه الهرم[1].وبعد ذلك جاء في قوله عز وجل (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) فهو استثناء منقطع والاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى كأنه قال: لكن الذين صدقوا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وعملوا الصالحات، أي أدوا الفرائض المفروضة عليهم لهم أجر أي ثواب غير ممنون) بخلاف الاستثناء في سورة التين فهو استثناء متصل، ولذا ورد ذكر الفاء في قوله تعالى (فلهم) وهذا قول أكثر أهل العلم[2] .فالإنسان خلق في احسن منظر واكرم خلقه ، إذ سواه بنور كشف صفاته ، وألبسه سنا ذاته ... وجعله في أحسن خلقه ، فجعله واقفاً خلاف بقيه المخلوقات [3].

اسهمت الكناية الحِجاجية في آيات الهِبات الربانية في وضع مرتكزات أساسية في التأثير والاقناع وفق ما يقتضيه الموقف الذي وردت في فقد كانت ذات طاقة حجاجيه تفتح امان الذهن آفاقاً واسعة في التفكير والاقناع وتحقيق المراد ؛ لأنها اشغال للذهن وأحكام للعقل والحجاج .

(1) ينظر:مجاز القرآن, : ٢/ 303.

(2) ينظر : الإيضاح العضدي

(3) ينظر: التبيان في اعراب القرآن : ٣٩١.

الخاتمة

الخاتمة:

بعد رحلة شيقة ماتعة في أغوار آيات الهبات الربانية ، توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج تكشف لنا العمق الحجاجي فيها:

- الهبة هي العطايا المقدمة إلى الآخر دون أن يكون لها مقابل سواء أكان ذلك المقابل مادياً أم كان معنوياً .
- أن كل ما منحه الرب لعباده هبات ربانية أي كان نوعها سواء أكانت المال ، الولد ، الصحة ، القوة ، تسخير المخلوقات وغيرها الكثير فهباته لاتعد ولا تحصى فهي سرمدية دائمة ، واساسها هو تفضيل هذا المخلوق على ما سواه ومنحه العطايا التي تجعله جديرا بحمل الأمانة ، التي امتحن بها .
- يتمتع الخطاب القرآني بأسلوب لغوي فريد، ومن يقرأ القرآن يجد من دون شك هذا الإيقاع الحجاجي، والتناغم والإحساس بالمتعة والجمال الذي لا نجده في كلام البشر والذي يبهر السامع ويأسره بل و يدفعه للاقتناع والإذعان فآيات الهبات الربانية حلقت فيها العناصر الصوتية نحو افق حجاجية ماتعة أسهمت في بيان الوجهة المتطلبة منها وسبب توجيهها بهذا الشكل الأمثل .
- أسهمت الفواصل القرآنية في آيات الهبات الربانية في إشاعة جو من النغم والجمال ثم الدلالة التي افرزها تكرار الصوت نفسه في ختام الآية المباركة فجذب الأسماع والانظار والقلوب إلى المراد وبحث المتلقي عنه في مضامين الجمل القرآنية التي جذبت قلبه وامالته إلى التصديق بمعجزة الرب وكتابه الذي أنزله على قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
- التكرار في القرآن الكريم له دور دلالي مهم و لكن لا يمكن الوصول إليه و استكناه المعاني المتخفية من ورائه إلا عن طريق تذوق جماليته الأسلوبية و

الاستمتاع بفك شيفرته المتخفية خلف نسيجه الفني. كما أنه وجوده في السورة الواحدة يضفي جمالا في المبنى و في المعنى، و في الإيقاع الذي تنتجه الأصوات المتألفة في ألفاظها والمتناغمة في معانيها .

- أسهم الجناس بأنواعه المختلفة في إضفاء ملامح الجمال الموسيقي المتشحة يتوسع الدلالة التي تبين عن طريقها نفحات الحجاج ومواطن الاستدلال اللغوية والموسيقية التي تحققه ، فالجناس التام وما يولده تكرار الحروف في الكلمة نفسها ويخرج من بوثقه التكرار ليعطي معاني أُخر أراد الباحث ان تصل إلى متلقيه برسالة ، أما الجناس الناقص فهو لعبة ولكنها مقصودة تخلق التموج غير المتوقع في الخيال وفي بحر اللغة لتخرج الدرر والجواهر بوساطة الانقاص من بعض اصوات الكلمات ، ما يرد من كلمات من الأصل نفسه ولكنها تتوشح بتغير دلالات الأحداث وواقعيتها ومعانيها .
- اسهمت المقابلة الحجاجية بمختلف سبلها التعبيرية في بناء النص ، واخفاء صفة التوسع في دلالاته فضلاً عن أنها في آيات الهبات الربانية بينت ما وهبه الرب لعبده من العطايا حتى في العناصر المتخالفة فكل خلاف في تلك العناصر رحمة وهبة يتلقفها العبد وبسعر بجهل وجودها فهي في أصولها أساس حياته ، فضلاً عما احتواه من جمال خلاب أسهم في ترشيح القلوب من أحداث الكفر فما ان تنزلق الموسيقى المصاحبة للمقابلة على مشارف العقل حتى تولد في قلبه ثبات الايمان والحق .
- أنَّ الجمال والبلاغة ليسا هدف التوازي ووظيفته الوحيدة، بل يحقق أيضاً أغراضاً دلالية حجاجيه، تتفجر طاقاتها في الخطابات تبعاً لقدرة المخاطب، وترويضه للغة وأساليبها، وتطويعها لتتثنى بين يديه ريشة ترسم انفعالات، وإيحاءات،

ومشاعر، وأحاسيس تخاطب الجانب العاطفي من الإنسان، من جهة، وتخطّ الحجج، والبراهين، والأدلة، مخاطبة العقل والمنطق، من جهة أخرى.

- عمد القرآن الكريم بوساطة العوامل الحجاجية على بناء توتر ذهني سريع المفعول في عقول المخاطب فبين الاثبات والنفي يصبح الإنسان في دوامة من الفعل ورده قد تكسبه ثوب الرحمة وتنقله من خانة الكفر وظلامه إلى نور الايمان إلى رحابة الدين ، من غياهب الجب إلى العز والنصر .
- الرّوابط الحجاجية تؤدّي دورا جوهريّا، ورئيسيا عن طريق "استثمار كل دلالاتها في ترتيب الحجج ونسجها في خطاب واحد متكامل، فهي تفصل مواضع الحجج، بل كل حجة منها ، تقوي الأخرى"، وذلك ما يجعل الخطاب منسجما ومترابطا، من أجل تحقيق الإقناع والتأثر في المُخاطّب . فضلا عما تقدم فإن الروابط الحجاجية من آليات الحجاج من الناحية اللغوية،
- يعدُّ الخطاب القرآني خطابًا حجاجيًا؛ لأنه نزل للرد على خطابات تعتمد عقائد ومناهج فاسدة، ولكونه يطرح أمرًا مهمًا يمثل عقيدة التّوحيد، بحجج مختلفة المستويات، والمدعّمة ضدّ ما يعتقده المتلقون من مشركين وملحدين، ومنكرين النبوّة والمجادلين. ولعلّ في اختلاف مستويات التّلقّي هذه ما يؤكّد الصفة الحجاجية للقرآن. ويعد السلم الحجاجي "مجموعة غير فارغة من القولات, مزوّدة بعلاقة ترتيبية" ويعتمد السلم الحجاجي في الخطاب على التدرج في استعمال الحجج
- أن العناصر اللغوية البيانية التي توشحت بصبغة حجاجية وخالجت جنبات القلب وخرجت متجاوزة لقالبها اللغوي ، قالب آخر يتمثل في معنى المعنى ومن هم دور ذلك المراد في تحقيق الحجاج وكل ذلك في آيات الهبات الربانية في القرآن الكريم وأهم تلك العناصر . التشبيه الاستعارة الكناية .

- وأتى التشبيه عن طريقها نلاحظ أن هذا الأسلوب حقق في مواضع إقناع وحجاج وأسهم في اتساع الأفق الدلالي للمعاني وأسهم في تحقيق الاقناع فالهبة الربانية في مدارها هنالك تلميح للقوة والعظمة التي يتمتع بها الرب والتي تبرز بعضها عن طريق بيان ما يهب لعباده ولغيرهم.
- أسهمت الاستعارة عند ورودها في آيات الهبات الربانية في بيان قدرة الله تبارك وتعالى في إنماء الخيرات لعباده وتذليل الصعاب لهم فضلاً عن ترغيبهم بالخيرات ومضاعفها لهم كما أنها أسهمت في اتساع الأفق الدلالي للنص وبناء مشاهد حية وكأننا في محاكاة قصة أو مشهد مسرحي شخوصه ماثلة أمامنا تحرك بقدرة خالق عظيم لتحقيق منافع عظيمة لعباده .
- بما أن الحقيقة هي الأصل والمجاز فرعاً منها ، نجد المجاز يؤدي إليها لكن بطرق عدة ، فهو يخلق معاني عديدة وتأويلات مختلفة ، كل هذه المعاني تدل على عظمة القرآن وبلاغته وفصاحته التي استطاع بها أن يتغلب على قوم تميزوا بها ،لكنهم وقفوا عاجزين .
- اسهمت الكناية الحجاجية في آيات الهبات الربانية في وضع مرتكزات أساسية في التأثير والاقناع وفق ما يقتضيه الموقف الذي وردت في فقد كانت ذات طاقة حجاجيه تفتح امان الذهن آفاقاً واسعة في التفكير والاقناع وتحقيق المراد لأنها اشغال للذهن وأحكام للعقل والحجاج .

مسرد المصادر والمراجع

مسرد المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**

أولاً: الكتب المطبوعة:

- الإبانة الكبرى لابن بطة, أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: 387هـ), تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري, دار الراية للنشر والتوزيع – الرياض.
- إحياء علوم الدين, أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ), الناشر: دار المعرفة – بيروت (د . ت).
- أدب الكتاب, أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (المتوفى: 335هـ), تحقيق : محمد بهجة الأثري, المطبعة السلفية – بمصر، المكتبة العربية – ببغداد, 1341 هـ.
- الأزمنة والأمكنة, أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: 421هـ), دار الكتب العلمية، بيروت, ط1 ، 1417هـ.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2004 م.
- أسرار البلاغة للجرجاني ، قراه وعلق عليه : محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، دار المدني بجدة : ط١/١٤١٢_١٩٩١م .

- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، دار المعارف، القاهرة – مصر (د. ط) سنة 1976 م
- إعجاز القرآن الكريم – للدكتور فضل عباس وسناء عباس، فهرس المكتبة الوطنية عمان، سنة 1991 م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية , مصطفى صادق الرفاعي , دار الكتاب العربي – بيروت , ط 8, 2005 م.
- إعراب القرآن وبيانه , محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش(المتوفي 1403هـ), دار الإرشاد للشئون الجامعية – سورية , ط4, 1415هـ.
- إعراب القرآن, أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ), علق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم, دار الكتب العلمية– بيروت,ط1، 1421هـ .
- الأمثال من الكتاب والسنة, محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو 320هـ), تحقيق: د. السيد الجميلي, دار ابن زيدون / دار أسامة – بيروت.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل, ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ),تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي, دار إحياء التراث العربي – بيروت, 1418 هـ.
- أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد علي صدر الدين معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، الطبعة الأولى، سنة 1968 م.
- الإيضاح العضدي , ابو علي الفارسي (٢٢٨-٣٧٧) المحقق : د. حسن فرهود (كلية الآداب – جامعة الرياض) ط١ ، ١٣٨٩- ١٩٦٩م .

- البحر المحيط في التفسير ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ت٦٥٤_٧٥٤هـ ، طبعة جديدة بعناية صدقي محمد جميل ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٣١- ١٤٣٢هـ_ ٢٠١٠م.
- بحوث منهجية في علوم البلاغة العربي ابن خالدون، النشر والتوزيع (د. ط) ٢٠٠٤ م.
- البديع لابن المعتز، تحقيق: عرفان مطرجي، دار المعارف، القاهرة – مصر.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، دار الجيل، بيروت – لبنان، (د. ط) (د .ت).
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها – عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني – ط1– دار القلم، دمشق – و الدار الشامية – بيروت – 1416هـ – 1996م.
- البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، فضل حسن عباس، دار الفرقان، إربد – الأردن، الطبعة الرابعة، سنة 1417 هـ – 1997 م.
- البلاغة والاتصال، جميل عبد المجيد ، دار غريب، مصر، د. ط، سنة 2000 م.
- بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي، محمد عبد المطلب، المكتبة العصرية، صيدا لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2006 م.
- البنية الايقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، تبرماسين عبد الرحمن، دار الفجر، القاهرة – مصر، سنة 2003 م.
- البيان الحجاجي بالمشابهة، د. عماري مالك، مجلة اللغة العربية، جامعة عبد الله مرسلي، تيبازة، المجلد 22 العدد 4، لسنة 2020 م.
- تاريخ البلاغة العربية , عبد العزيز عتيق, دار لنهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت، (د. ط).

- تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، الطبعة الثانية، سنة 1973 م.
- التّحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2006م.
- تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، 1986 م.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، ، ترجمة: سيف الدين دعقوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2003 م.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل, أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف , تحقيق: حسن هنداوي , دار كنوز إشبيلية , ودار القلم – بيروت, ط1 (د . ت).
- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق – القاهرة، مصر، الطبعة السادسة عشرة، سنة 1423 هـ - 2003 م.
- التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين، عبد الرحمن بن ناصر البراك، مؤسسة وقف البراك، سنة 2021م.
- تفسير البَسِيْط, أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية , ط1, 1430 هـ .

- تفسير البيضاوي ، انوار التنزيل واسرار التأويل ، القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان (د .ت) .
- تفسير التحرير والتنوير ، تأليف محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤.
- تفسير التستري, أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ), تحقيق: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلمية – بيروت, ط1, 1423 هـ.
- تفسير السمرقندي = بحر العلوم, أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ),(د–ت).
- تفسير السمعاني, أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ), تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم, دار الوطن – السعودية ط1, 1418هـ– 1997م.
- تفسير الشعراوي – الخواطر, محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ), الناشر: مطابع أخبار اليوم,ج7: 4456.
- تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، تحقيق: عبد الله بن حسين عكاشة، دار الفكر العربي، 2002 م.
- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى البار، 1417 هـ.
- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم), محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية

والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان, دار ومكتبة الهلال – بيروت, ط1, 1410 هـ.

- تفسير القرآن, أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ), تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم, دار الوطن، الرياض – السعودية, ط1, 1418هـ-1997م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت٤٦٧_ ٥٣٨ هـ ، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيما ، دار المعارف بيروت _ لبنان ، ط٣ / ١٤٣٠_ ٢٠٠٩م .
- تفسير الماتريدي, محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ), تحقيق: د. مجدي باسلوم, دار الكتب العلمية – بيروت, ط1, 1426 هـ - 2005 م.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون, أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ), تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم, دار الكتب العلمية – بيروت، (د . ت) .
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر – بيروت، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى، سنة 1418 هـ - 1998 م.
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل), أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ), حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي, دار الكلم الطيب- بيروت, ط1, 1419 هـ - 1998 م.

- تفسير فتح القدير للشوكاني ،دار المعرفة ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الرابعة ، سنه ١٤٢٨هـ _ ٢٠٠٧م .
- تفسير مجاهد, أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ), تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل, دار الفكر الإسلامي الحديثة- مصر, ط1, 1410 هـ - 1989 م.
- تفسير مقاتل بن سليمان, أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150هـ), تحقيق: عبد الله محمود شحاته, دار إحياء التراث – بيروت, ط1, 1423 هـ.
- التكرار وفعل الكتابة في الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي، د.حاتمَّ عبيد،د. كنوز المعرفة العلمية (د.ت).
- التلقي والتأويل مقاربة نسقية، محمد مفتاح، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 2003 م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ), تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق, الناشر: مؤسسة الرسالة, ط1, 1420هـ -2000 م.
- ثلاث رسائل في أعجاز القرآن الكريم للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، حققها وعلق عليها محمد خلف الله احمد، د. محمد زغلول سلام ، ط٣/ دار المعارف بمصر .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن, أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (224 – 310هـ), دار التربية والتراث – مكة المكرمة ,(د- ت).

- الجامع لأحكام الوقف والهبات والوصايا، خالد بن علي بن محمد المشيقح، إصدارات وزراة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر، الطبعة الأولى، سنة 1434 هـ - 2013 م.
- جماليات المفردة القرآنية, أحمد ياسوف, دار المكتبى – دمشق, ط2, 1419 هـ - 1999م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، الحسن بن قاسم، تحقيق: فخر الدين قباوة، و: محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، سنة 1992 م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع, أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ), ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي, المكتبة العصرية- بيروت، (د . ت).
- الحجاج عند أرسطو ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلي اليوم، هشام الريفي، سلسلة الآداب، المطبعة الرسمية، كلية الآداب بمنوبة، تونس، د. ت.
- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، سنة 2007 م.
- الحجاج في درس الفلسفة، خلية البحث التربوي (مليكة غبار – أحمد أمزيل – محمد رويض – علي أعمور) إفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2006 م.
- حوارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع ، ثامر فاضل ، دار الشؤون الثقافية العامه آفاق عربية ، ١٩٨٧.
- الحيوان, عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ), دار الكتب العلمية – بيروت, ط3, 1424 هـ.

- الخصائص، لابن جني، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، د. ت.
- الخطابة ، أرسطو طاليس ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، وكالة مطبوعات الكويت ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، سنه ١٩٧٩م .
- الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع, شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (812 – 893 هـ), تحقيق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة, الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة – السعودية, 1429 هـ - 2008 م.
- دلائل الإعجاز، للجرجاني (أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني, ت 471هـ), تحقيق: محمود محمد شاكر , مطبعة المدني , القاهرة , ط3 , 1413 هـ - 1992 م .
- روح البيان, إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ), دار الفكر – بيروت.
- الزهد لأبي داود السجستاني, أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَجِسْتاني (المتوفى: 275هـ), تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم , دار المشكاة للنشر والتوزيع– حلوان, ط1, 1414 هـ - 1993 م.
- السيرة النبوية لابن هشام, عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي, شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر, ط2, 1375هـ - 1955 م.
- شرح المفصل، للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2001 م.

- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشري موسى صالح، دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1981 م.
- الظاهرة القرآنية, مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (المتوفى: 1393هـ), تحقيق: (إشراف ندوة مالك بن نبي), دار الفكر – دمشق , ط4, 1420 هـ – 2000م.
- علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني», الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب, المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان, ط1، 2003 م.
- علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع», أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ), (د. ت).
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع ، صفاقس ، تونس ، الطبعة الأولى ، سنة 2011 م.
- غريب الحديث, أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ), تحقيق: د. عبد الله الجبوري مطبعة العاني – بغداد, , ط1, 1397هـ.
- الفصول في الأصول, أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ), وزارة الأوقاف الكويتية, ط2, 1414هـ – 1994م .
- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية, نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ), دار ركابي للنشر – مصر, ط1, 1419 هـ – 1999 م.
- في ظلال القرآن : سيد قطب : طبع في مطابع الشروق _ بيروت : ط ٣٢ ، ١٤٢٣_ ٢٠٠٣ .
- القصص القرآني: إيحاؤه ونفحاته، فضل عباس، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، سنة 1987 م

- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، و محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت – بنان، سنة 2006
- كتاب العين, أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ), تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي, الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني, أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: 733هـ), تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف, دار الوفاء – المنصورة,ط1, 1410 هـ - 1990 م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن, أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: 427 هـ), تحقيق: عدد من الباحثين , دار التفسير – المملكة العربية السعودية,ط1 ، 1436 هـ - 2015 م.
- الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية سنة 1419 هـ - 1998 م.
- اللباب في علوم الكتاب, أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ), تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض, دار الكتب العلمية – بيروت , ط1, 1419 هـ -1998م.
- لسان العرب، جمال الدين بن منظور، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة – مصر، (د . ط) (د . ت).
- اللغة والحجاج، ابو بكر العزاوي، العمدة للطباعة والنشر، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2006 م.

- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة الطبعة السابعة، سنة 1990 م.
- مجاز القرآن, أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: 209هـ), تحقيق: محمد فواد سزگين, مكتبة الخانجى – القاهرة, 1381 هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ), تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد , دار الكتب العلمية – بيروت, ط1 , 1422 هـ.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي, رمضان عبد التواب, مكتبة الخانجي – القاهرة, ط3, 1417هـ - 1997م.
- مسند الإمام الشافعي, الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ), رتبه : محمد عابد السندي, دار الكتب العلمية، بيروت , 1370 هـ - 1951 م .
- معانى القرآن للأخفش, أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: 215هـ), تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة, مكتبة الخانجي- القاهرة, ط1 , 1411 هـ - 1990 م.
- معاني القرآن وإعرابه, إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ), تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي, عالم الكتب – بيروت,ط1 , 1408 هـ - 1988 م .
- معاني القرآن وإعرابه, إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ), تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي, عالم الكتب – بيروت, ط1, 1408 هـ - 1988 م.

- معاني القرآن, أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: 338هـ), تحقيق: محمد علي الصابوني, جامعة أم القرى – مكة الكرمة, ط 1, 1409هـ.
- معجم التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة السادسة.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، بغداد، المجمع العلمي العراقي، سنة 1403 هـ - 1983 م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصر، الطبعة الرابعة 1425 هـ - 2004 م.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: أبو الحسن احمد، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة مصطفى باقي حلبي، القاهرة (د . ت).
- مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبننا، الطبعة الثانية، سنة 1407 هـ 1987 م.
- المقتضب, محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: 285هـ), تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة, عالم الكتب. – بيروت.
- المقتضب، أبو العباس محمّد بن يزيد المبرّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، سنة 1994 م.
- من بلاغة القرآن, أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: 1384هـ), نهضه مصر – القاهرة، (د . ت) .
- المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، دار المشرق، بيروت –لبنان، ط28 سنة 1986 م .
- الموسوعة القرآنية المتخصصة, مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين, المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر , 1423 هـ - 2002 م.

- موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام, أحمد بن سليمان أيوب، ونخبة من الباحثين فكرة وإشراف: د. سليمان الدريع, دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع , ط1, 1436 هـ - 2015 م.
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، مطبعة السعادة بمصر، (د. ط) (د. ت).
- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر – القاهرة، الطبعة الثالثة، (د.ت).
- النص والخطاب والاتصال، محمد العبد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الاولى سنة ١٤٣٦هـ _ ٢٠١٥ م .
- نظام الخطاب القرآني , عبد الملك مرتاض, (د- ط), الناشر: دار هومه، ٢٠٠١م.
- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة للنشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، سنة 2005 م.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ), تحقيق: مجموعة رسائل جامعية – جامعة الشارقة , الناشر – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية, ط1, 1429 هـ - 2008 م.

ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية :

- البنية الحجاجية في شعر عز الدين ميهوبي، فوزية زيار، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة والأدب العربي، سنة 2019 م.

- البنية الحجاجية في كتاب "اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق فيه الشيخان" رسالة دكتوراه، الطيب رزقي، كلية الآداب واللغات، جامعة الإخوة منتوري، الجزائر، سنة 2017 م.
- جمالية الانزياح في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، عبد القادر بن زيان
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية, رسالة دكتوراه, عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: 1429هـ), مكتبة وهبة, ط1, ا 1413 هـ - 1992 م.
- الروابط والعوامل في ديوان امل نقل ، رسالة ماجستير ، زينب نمر ، ٢٠١٧- ٢٠١٨ .
- الطباق في القرآن الكريم دراسة بلاغية، نعم هاشم خالد سليمان، رسال ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، سنة 2002 م.

ثالثاً : الدوريات والمجلات العلمية:

الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله ، رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد،02 مجلد40، أكتوبر – ديسمبر،2011 م.

- استراتيجية الحجاج في القرآن الكريم دراسة في العوامل والروابط الحجاجية، د. هند رأفت، حولية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة – مصر، العدد 24، 1442 هـ - 2020 م.
- التوازي ولغة الشعر : محمد كنوني ، مجلة الفكر ونقد ، ع١٨ ، ١٩٩٩م .
- الحجاجيات اللسانية عند ديكرو و آنسكومر، الراضي رشيد ، مجلة عالم الفكر ، العدد الأول، سبتمبر ، سنة 2005 م.

- مراتب الحجاج وقياس التمثيل، طه عبد الرحمن، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، العدد التسع، سنة 1987م.

Abstract

In the name of God the most Merciful, the most Compassionate Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and blessings and peace be upon the Master of the Prophets, the Most Honorable of the Pure and the Messengers, and upon the God of the good and pure and those who guide them until the Day of Judgment.

First of all:

The Holy Qur'an, the hallowed book of Allah, was and still is loaded with gifts of all kinds and crowned with divine gifts, from the universal and life gifts that God Almighty endowed and provided man and all simple creatures so that benefit from them and leadership in them occurs, so he made the simple with its mountains, rivers, valleys and creatures in the service of the one who made him perfect in the service of man, as well as the perfect qualities that he made In this creature, making him complete and perfect, giving him reason, logic, good manners and creation, as well as making him social. And he sent down the Book to some of his people and made them messengers among them.

From this point of view, the researcher set out to try to study the verses of the divine gifts granted to man, which contained argumentative connotations of various kinds, all with the tagged study (divine gifts In the Holy Qur'an, a pilgrim study)

Abstract

The chapters of the study included a preface, entitled (Divine gifts and pilgrims vision original) The first chapter was entitled (pilgrims rhythmic In the verses of divine gifts in the Holy Quran) while the second chapter went to study (pilgrims linguist in the verses of divine gifts In the Holy Quran) The third was (pilgrims graph in the verses of divine gifts in the Holy Quran) and then a conclusion in which the researcher showed the most important results, including:

-1 A gift Is the presents given to the other without having a return, whether that reward Is material or moral.

-2 All that the rabbul has given to His servants are divine gifts of any kind, whether money, child, health, strength, harnessing creatures and many others, His gifts are in numerable, they are eternal and permanent, and their basis is to prefer this creature over others and give him gifts that make him worthy of carrying the trust, with which he was tested.

-3 The Qur'anic discourse has a unique linguistic style, and whoever reads the Qur'an undoubtedly finds this rhythm of argumentation, harmony and a sense of pleasure and beauty that we do not find In the words of human beings, which dazzles the listener and captivates him and even pushes him to conviction and acquiescence. Then a list of sources and references .

The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and scientific Research
University of Kerbala / College of Islamic Sciences
Department of Arabic language

Divine Gifts in the Holy Qur'an: Argumentative Study

A thesis submitted to the Council of the College of Islamic Sciences / University of Kerbala, which is part of the requirements for obtaining a master's degree in Arabic language and literature / language and literature of the Qur'an.

Written By

Zainab Jassim Farhan

Supervised by

Prof .Dr. Muslim Malik Baeer Al-Asady

2023AD aug. 1445AH